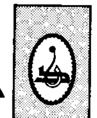
الدكتور أسعد السحمراني

التطرف والمتطرفون

دار النفائس

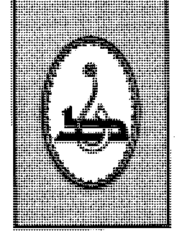


لِلطباعَةِ وَالنشْرِ وَالتوزيع
شـــارع فـردان ـ بنـاية الصـــباح
وصــفي الـديـن ـ ص.ب 14/5152
فـاكـس: 861367 ـ هـاتـف: 803152
أو 810194 بـيــروت ـ لبـــــنان

DAR AN-NAFAÉS

Printing-Publishing-Distribution
verdun str. Saffi Aldeen Bldg.
P.o.Box 14/5152
Fax: 861367 - Tel. 803152 -
810194. Beirut - Lebanon

الطبعة الأولى : 1419 هـ ـ 1999 م



أ. د. أسعد السحمراني

مسؤول الشؤون الدينيـة

في المؤتمر الشعبي اللبناني

التطرف والمتطرفون

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾

البقرة، الآية/ ١٤٣

الإهداء

إلى من التزموا منهج الأمة الوسط

إلى من تديّنوا بلا تعصب

إلى من التزموا خط السماحة والاعتدال

إلى الدعاة بالحكمة والموعظة الحسنة

أهدي عملي هذا.



تقديم

قلما تخلو صحيفة، أو نشرة أخبار، من حوادث قتل، أو تخريب، أو اعتداء، سببها التطرُّف الذي يزداد حدَّة منذ سنوات، ولا تبدو له في الأفق حدود... ويزيد من بشاعتها ما تعرضه وسائل الإعلام المرئية من صور أشلاء، ودماء...

في إسرائيل يأخذ التطرف مداه، ويتجلى بأبشع صُوَرِهِ، حيث يقتل المتطرفون المتشدِّدون رئيس وزرائهم، بطل الكثير من حروبهم، ولا يكترثون بتاريخه، ولا بما قدمه لدولتهم من خدمات وتضحيات... نسوا كل ذلك، أو تناسوه، عندما أراد السير في طريق السلام، وهو طريق لا يعرفونه، فهم لا يعرفون سوى القتل، والتدمير، وسفك الدماء؛ ويظنون، باطلاً، أنهم عندما يقتلون فهم ينفذون أمر ربهم، وعندما يغتصبون إنما يستردون ما وهبهم إياه «يهوه» إلههم.

أما المجازر التي يرتكبونها يومياً بحق الفلسطينيين، أصحاب الحقوق، فلسنا بحاجة إلى تردادها، والعالم كله يشاهدها يومياً على شاشات «التلفزيون».

وفي البلاد العربية لا يخلو بلد من عمليات الاعتداء، إن كان من مواطنين قانطين، حاقدين، يعتدي بعضهم على البعض الآخر، أو على أجهزة السلطة ورجال الأمن، أو من اعتداءات السلطة على المواطنين بشتى الطرق والوسائل، والمثل الصارخ حالياً ما يجري في الجزائر مما لا يتقبله عقل، ولا يقرُّه دين.

لقد اتَّخذ بعض الناس من أنفسهم وكلاء لله على الأرض، فهم يكفِّرون من يشاؤون، ويحاكمون، ويحكمون غيابياً، وينفِّذون أحكامهم، فيزرعون الفوضى، والدمار، والخراب... وتستغل الظروف أجهزة تعشق الظلام ولا تعيش إلا فيه، ولا يعلم ارتباطاتها إلا الله عز وجل وإن أظهرت الإخلاص لسادتها، وتطرفت في إظهار ولائها لدرجة تقلب الأمور إلى ضدها، وبهذا فهي تزيد الفتنة اشتعالاً، والمآسي أهوالاً.

وفي فرنسا، التي تدعى أنها بلد الحريات، يثورون ضد النساء المحجبات، ولا يعدُّون ذلك تدخلاً في الشؤون الخاصة لتلك النسوة. وأيُّ تطرف أكثر من هذا التطرف، فمن بديهيات الأمور في الديمقراطيات أن تقف حدود حريات الناس عند حدود حريات الآخرين. هذا بالإضافة إلى أعمال التفجير والتخريب التي يرتكبها أناس من مختلف الانتماءات.

وفي ألمانيا تطل النازية الجديدة برؤوسها، وتتناقل وسائل الإعلام أخبارها، وارتكاباتها. ولا تزال فكرة العرق المتفوِّق

مسيطرة على عقول معظم الألمان.

وفي الولايات المتحدة تنقطع الكهرباء، فيخربون مدينة كبيرة بساعات، وعندما تسنح الفرصة لشرطة بيض يقضون على سائق أسود. أما المنظمات المتطرفة فتتكاثر بنسبة تفوق تكاثرها في العالم كلِّه. وما تفجير مركز التجارة العالمي الذي نفَّذته إحدى تلك المنظمات عنا ببعيد.

وفي الهند يقتل الهندوس المسلمين. وفي باكستان يتقاتل السنَّة والشيعة... هذه أمثلة، ونماذج تعطي صورة العالم، كما يقدمها المتطرفون، الذين لا يخلو منهم زمان ولا مكان، سوى أن الصورة أوضح في هذا العصر نتيجة توافر وسائل التدمير والتخريب لكافة الأطراف.

ومع ذلك فالمتَّهم الأول بالتطرف والإرهاب هو الإسلام والمسلمون، لأن الإعلام «الصهيوني ـ الغربي» المسيطر على الساحة الإعلامية الدولية يروِّج لهذه الفكرة بصبر، وجلد، وذكاء، ووفق خطة مدروسة، حتى أصبح الإعلام العربي، والإسلامي، يردِّد ما يقوله ذلك الإعلام، ويستعمل مصطلحاته ذاتها، وينشر أفكاره نفسها، لدرجة أنست الناس أن تصرفات فئة محدودة من المتطرفين، لها عقليتها، وظروفها، ودوافعها، لا يصح أن تندرج على جميع العرب أو المسلمين. بينما من المفروض أن يركِّز الإعلام العربي، والإعلام الإسلامي، والكتَّاب، والمفكرون، العرب والمسلمون، على ما طرحه بعض الزعماء العرب من ضرورة التمييز بين التطرف والإرهاب من جهة، وأعمال التحرير

ومقاومة المحتلين والمعتدين، من جهة أخرى، وأن يكشفوا للناس أيضاً أسباب التطرف، وظروف نشأته، هذا بالإضافة إلى عرض الدين الإسلامي على حقيقته، بسموِّه، وكماله، واعتداله، وبعده عن الغلوِّ والتطرف.

ولهذا نجد المؤلف بدأ، في الباب الأول، بإعطاء صور تاريخية عن التطرف، والعنف، ثم أعطى لمحة عن الإرهاب الصهيوني، والغربي ـ الأميركي. وبيَّن أن الفكر اليهودي هو فكر إرهابي، والفكر الغربي، هو فكر استكباري متطرف، معادٍ للعرب، وللإسلام والمسلمين. وهو إذ يقوم بأحد واجبات المفكرين المسلمين إنما يضع لبنة في صرح كبير يحتاج إلى تضافر الجهود حتى تؤتى الثمار المرجوَّة منها.

والمقصود بالتطرف في هذا الكتاب هو «اعتقاد إنسان، أو مجموعة من الناس، أنها تحتكر معرفة الحقيقة، وأنها على حق وصواب، وغيرها على باطل وخطأ». ولذلك هي تعمل على فرض ما تريد، أو تعتقد، على الآخرين، بجميع الوسائل المتوافرة لها، بعيداً عن أية ضوابط، والإرهاب أحد وسائلها لفرض آرائها ومعتقداتها، وتنفيذ مآربها.

وأظن أن المتطرفين المسلمين الذين يلجؤون إلى الإرهاب ـ في المصطلح الحديث ـ لا يتنبهون إلى غاية الأمر في الآية الكريمة التي تقول: **﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم﴾** ـ الأنفال/ 60 فالإعداد فرض، وغايته الأولى أن يرهب العدو، أي أن يخشى عواقب القتال، فلا يقاتل. وبالتعبير الحديث إظهار

التفوق العسكري، أو توازن القوى، لأن ذلك يؤدي إلى إرهاب العدو وخوفه من نتائج القتال فلا يقاتل. وعندما يشعر أي عدو بتفوق خصمه يفضل الحوار معه، وكذلك عند توازن القوى تخف احتمالات الحرب، فإن كان لا بد من الحرب كان المسلمون مستعدين لها بالإعداد. وشتَّان بين الإرهاب في هذه الآية الكريمة، ومقاصد الإعداد من جهة، وبين الإرهاب في المصطلح الحديث الذي نراه ونسمع عنه، من جهة أخرى.

وقد يغيب عن أذهان بعض الناس ضرورة البحث في جذور مشكلة التطرف، وثمرته الإرهاب. ودراسة الأسباب لا تعني تسويغ التطرف أو الإرهاب، إنما تعني ضرورة معرفة الأسباب لمعالجتها. فبإزالة الأسباب تنتفي النتائج.

أما مكافحة الإرهاب بالإرهاب، كما يجري حالياً، فستؤدي إلى كارثة بشرية لا يعلم نتائجها إلا الله عز وجل. وقد ذكرت في مقدمتي لكتاب «الإرهاب والعنف السياسي» الذي صدر سنة 1992 ما يلي: «يبدو أنها ـ أعمال الإرهاب ـ ستنفجر بأساليب جديدة، إن استمر المستكبرون في إدارة العالم بالطرق التي تلوح بوادرها في الأفق، والتي لا تبشر بالخير». وقصدت أساليب الولايات المتحدة، ومن يدور في فلكها، في مكافحة الإرهاب، وهي مُرْهِبَة العالم، لأنه من سنن الحياة أن أيَّ فعل يولد ردَّ فعل، وهكذا تبدأ السلسلة ولا تنتهي.

لا ينكر أحد أن التطرف موجود لدى أشخاص، وتمارسه

أحزاب، ودول ضد دول، وحكومات ضد شعوبها. ولو أننا استعرضنا حوادث الإرهاب على هذه المستويات كلها، في العصر الحاضر، لوجدنا أن الولايات المتحدة، التي تدَّعي مكافحة التطرف والإرهاب، هي في الواقع راعية الإرهاب العالمي.

فهي التي تفرض رأيها على الأمم المتحدة، وهي التي تتدخل في شؤون جميع البلاد والأقطار، بقواتها العسكرية حيناً، وبضغوطها الاقتصادية أحياناً أخرى، وبقوة مخابراتها في معظم الأحيان. وهي التي أتت بمعظم الأنظمة الديكتاتورية في العالم. وهي تستمر في دعم هذه الأنظمة، وتلميع صورتها، طالما توفر لها مصالحها، فإن حادت عن الطرق المرسومة لها، وهددت هذه المصالح، تحولت إلى حكومات إرهابية، لا تحافظ على حقوق الإنسان، وتروِّج المخدرات، وتهدد السلم العالمي.. إلى غير ذلك من الجمل الإعلامية المعلَّبة التي نسمعها يومياً.

وهي التي تكيل بمكيالين في جميع القضايا الدولية، التي تتدخل فيها لحفظ مصالحها، والمثل الفاضح لذلك تأييدها، غير المحدود لما يسمى «دولة إسرائيل» وتحيُّزها إلى جانبها في جميع القضايا، وأبرزها حالياً السماح لها بتخزين ترسانة من أسلحة «الدمار الشامل» تكفي للقضاء على نصف البشرية، أو أكثر، وتحريم أي سعي، أو محاولة، من قبل العرب لتأمين التوازن الستراتيجي معها.

وكذلك ما تفرضه على العراق، وليبيا، والسودان، من

عقوبات، بالإضافة إلى تهديداتها المستمرة لسوريا وإيران. . .

والولايات المتحدة، والغرب عموماً، ومن ورائها الإعلام الصهيوني، تصوِّر الإسلام عدواً للبشرية، ويقف حائلاً دون الديمقراطية، والحرية؛ والمسلمين قتلة أطفال، ونساء، وشيوخ، ودعاة حرق وتدمير وتخريب، مع أنها تحارب الإسلام الصحيح، الإسلام الحضاري، الإسلام المعتدل، الإسلام الذي جاء ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، والذي يتعايش مع جميع الأديان. وهي تدعم المتطرفين بشتى الطرق لتقديم صورة قبيحة للإسلام، ولتقول للناس هذا هو الإسلام، فاحذروه. . . ولا أحد ينكر أن النموذج الأفغاني تربى على أيدي الأميركان.

وهذا يجب ألا ينسينا أن بعض المسلمين يقدمون للإسلام نماذج محنَّطة من عصور الانحطاط على المستوى الفردي، والسلوك الشخصي. وأما على مستوى الدول التي تلوذ بالإسلام لاستغلال عواطف المسلمين، فلا تتحرج هذه الدول من إعلان إسلاميتها بالجلد وقطع الأيدي والرؤوس، وما يمكن أن نسميه في العصر الحاضر بـ «قانون العقوبات»، وكأن الدول تقوم على قانون عقوبات فقط، أما طريقة الحكم، وتحقيق العدل، ورفع الظلم، والنظام الاقتصادي، والتجاري، والتكافل الاجتماعي . . . وغير ذلك من القوانين التي ترعى شؤون الناس فلا ضرورة لها في دولة المسلمين في رأي تلك الدول. يكفي الجلد وقطع الرؤوس والأيادي لتصبح الدولة إسلامية (!) عجيب أمر هؤلاء المسلمين.

من هنا نستطيع القول: إن ما يعانيه العرب والمسلمون بعضه ناتج عن تضافر أعدائهم، وتكالبهم عليهم، وجلُّه نابع من أنفسهم، واختلال مفاهيم بعضهم، وسخافة أفكارهم، وتأويلاتهم لمقاصد الشريعة.

والأغرب من ذلك ردود الفعل المتطرفة التي تصدر عن بعض متفلسفة الإسلام في اتجاه مغاير للتطرف، لدرجة متطرفة في الاتجاه الآخر، هؤلاء، في دفاعهم عن الإسلام، يردون على القتلة الذين يسمون قتالهم جهاداً، فيبطلون الجهاد، ويكتفون بالدعوة إلى المجادلة بالحسنى والحوار. ومع من الحوار؟ مع الذين اغتصبوا أرض فلسطين (!) في حين يعمل علماء يهود على دراسة كيفية تمكن صلاح الدين من بعث فكرة الجهاد التي أدَّت إلى طرد الصليبيين، ليحولوا دون بعثها من جديد على أيدي صلاح الدين جديد.

إن الإسلام يقوم على التوازن، والاعتدال، والحوار. وكما أنه ليس بحاجة إلى متطرفين يعطون المثل السيىء عنه، فهو بغنى أيضاً عن أناس يبدِّلون مفاهيمه، ويفرغونه من محتواه، وهم يدافعون عنه. وهذا ما أشار إليه المؤلف في الباب الثاني حيث تحدث عن الإسلام والوسطية، والإسلام والسلام واستخدام القوة.

ولن أطيل الكلام عن ذكر أسباب التطرف، فقد عالجها المؤلف في الباب الثالث، كما ذكر مقترحات قويمة لمعالجة ظاهرة التطرف. لكن لا بأس من التأكيد على أن معالجة أسباب التطرف تؤدي إلى القضاء عليه.

وتُختصر إزالة الأسباب على المستوى الداخلي، في البلاد العربية والإسلامية، بتوسيع هامش الحرية للمواطنين، وتحقيق العدل، وتكافؤ الفرص بينهم، ورفع الظلم عنهم، وتأمين الأمن السياسي والمعاشي لهم.

وأما على المستوى الدولي، فلا بد من أن تكفَّ الولايات المتحدة وحلفاؤها، عن دعم إسرائيل، وهي على باطل، وعن تمييزها عن غيرها، وهي تدرك أنها غاصبة معتدية. وأن تكفَّ عن التدخل في شؤون الدول الأخرى، واستغلال ظروفها، وسلب خيراتها.

كما يجب عليها أن تكفَّ أيضاً عن تشويه الإسلام، ومحاربته، وعن دعم المتطرفين، وتترك، الأفكار تتحاور، والحضارات تتمازج، بعيداً عما ترغب في فرضه على العالم من نظام تسمِّيه «نظاماً عالمياً جديداً» وهو لا يعدو كونه نظام استغلال وقهر للشعوب، وسيطرة اقتصادية على موارد العالم.

ولنعد إلى الكتاب، فهو وإن كان صغيراً في حجمه، فهو غني بالأفكار التي يطرحها، ونستطيع أن نقول: إنه بداية لفتح باب النقاش في موضوع مهم يشغل العالم. ومؤلفه بحَّاثة جامعي، عربي التوجه، مسلم العقيدة، لا يدَّخر وسعاً في خدمة العروبة والإسلام، وقد أغنى المكتبة العربية بعشرات الكتب في مختلف المواضيع الحيوية المفيدة.

الناشر:

أحمد راتب عرموش

مقدمة

لقد شغل موضوع الغلو والتطرف وسائل الإعلام، وأقلام الكتاب، واحتلَّ حيِّزاً من اهتمامات الحكومات، وبات في بعض الدول والمجتمعات إشكالية مخيفة تكاتفت الجهود، وتمَّ تجنيد الطاقات من أجلها. إلا أن الملاحظ أن الإعلام، وبفعل السيطرة الأمريكية والأوروبية على وكالات الأنباء، أو بنوك المعلومات، يركز على لون واحد من التطرف والإرهاب؛ إنه ذلك العنف الذي يصدر عن بعض الحركات المتسترة بالإسلام، والذي يحصل في البلاد العربية والإسلامية، أو في بلد غربي أحياناً.

ويتغافل هذا الإعلام عن إرهاب أشمل تمارسه الولايات المتحدة الأميركية، يتوزع في الاتجاهات كافة من عسكرية واقتصادية وسياسية. . . الخ. إن الغرب عموماً، والولايات المتحدة الأميركية خصوصاً، يتسابقون في تكديس السلاح، والنووي منه خاصة، ويدعمون حركات الانفصال والتمرد، وكل حركات تفتيت المجتمعات في العالم الثالث والعالم

العربي والإسلامي، ولا يسمون فعلهم إرهاباً أو عنفاً وتطرفاً.

وداخل المجتمع الأميركي يعتمد التمييز العنصري بين البيض والملونين، ويمارسون تسويق الفكر المعادي للإسلام ولثقافات شعوب العالم الثالث ودول الجنوب من تبنيهم لسلمان رشدي وتجديفه ضد الإسلام، إلى فرانسيس فوكوياما وصامويل هنتنجتون وما كتبوه عن عدوانية الغرب للإسلام، وأن سقوط المعسكر الشيوعي أبقى معسكراً واحداً ضد الليبرالية الغربية هو الإسلام، ومع ذلك لا يسمون فعلهم ولا فكرهم تطرفاً.

وأوروبا الغربية هي التي صنعت الصهيونية، وأقامت دولة إسرائيل المغتصبة لفلسطين وأرض العرب؛ وبعد ذلك تبنت الولايات المتحدة الأمريكية المشروع الصهيوني ودعمته، ولا تزال، بالأسلحة التقليدية وغير التقليدية، وبتعطيل قرارات الأمم المتحدة ومجلس الأمن وفي المواقع كافة، ولا يسمون عدوانيتهم هذه تطرفاً.

وتنتشر الأسلحة بعشرات ملايين القطع بين أيدي مواطنيهم، وتتوزع العصابات عندهم ويشيع القتل، ويحصل الاستغلال والنهب وتفسد رذائلهم المجتمعات والأخلاق، ولا يطلقون على أفعالهم هذه اسم الإرهاب والعنف.

كل هذه الأمور؛ ظواهر العنف غير المبرر في مجتمعاتنا، مضافاً إلى ذلك مؤتمرات وندوات ومحاضرات شاركت فيها، كانت وراء فكرة هذا الكتاب.

وإذا كنت أعرض لما عند يهود من إرهاب، وما عند

الأميركان والغرب فليس القصد أن نعفي أنفسنا، نحن العرب والمسلمين، من المسؤولية حيال ما ظهر ويظهر في مجتمعاتنا، ويسهم في تشويه صورة الإسلام والعرب بين الأمم. إن تشخيص مسببات العنف واستخدامات القوة غير المشروعة في مجتمعاتنا مهمة مطلوبة، كي ينتقل العمل بعدها إلى سبل المعالجة.

أترك لصفحات هذا الكتاب عرض القراءة، والتشخيص واقتراحات الحلول، وأنا مدين بكثير من الأفكار الواردة في الكتاب لإخواني وأحبائي جميعاً الذين اشتركت معهم في نقاشات حول الموضوع، وأخص منهم الأخ كمال شاتيلا، رئيس المؤتمر الشعبي اللبناني، وإخواني في المؤتمر، وللأخ الحاج توفيق حوري رئيس مجلس أمناء كلية الإمام الأوزاعي للدراسات الإسلامية، وبعض الإخوة في الكلية، وللأخ أحمد راتب عرموش رئيس إدارة دار النفائس، لهؤلاء ولكثيرين أنا مدين بمعظم أفكار الكتاب والاقتراحات للمعالجة، وأرجو الله تعالى أن يكون في عملي هذا بعض فائدة لأبناء أمتي، ولكل مؤمن يريد تحقيق التكريم للإنسان المستخلف في الأرض، مع طلب ورجاء من كل من سيقع في يده هذا الكتاب بألا يبخل بملاحظة أو نقد لتتم الاستفادة من ذلك في أعمال لاحقة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

1998/8/18

أسعد السحمراني



الباب الأول

1 ـ العنف الأول

2 ـ صور تاريخية عن العنف والإرهاب

ـ الإرهاب الصهيوني في الفكر والممارسة

ـ الإرهاب عند المسيحيين وفي الغرب

3 ـ الفكر الأمريكي والعداء للإسلام

العنف الأول

1 ـ تمهيد

العنف هو استخدام للقوة من خلال مظاهر متعددة وأساليب متنوعة، والإرهاب حملٌ للآخرين على الخوف وتبديد لطمأنينتهم، إلى ما يتم تداوله من اصطلاحات وكلمات بدأت تنتشر اليوم في أدبيات الشعوب والأمم وباتت حالة غير مقبولة لأنها تهدد الوحدة بكل أشكالها، وحدة الأسرة، وحدة المؤسسة، الوحدة الوطنية، وحدة المسلمين، وحدة المسيحيين، وحدة المؤمنين برسالات سماوية، لا بل بات كل من العنف والإرهاب يهدد الإنسانية بمجموعها، لأن العنف يقترن بالغضب والانفعال اللذين هما أشبه بعاصفة هوجاء تبعثر مظاهر الجمال في الطبيعة.

العنف السياسي، العنف الاقتصادي، العنف المتستر بالدين، كلها مظاهر وظواهر تصدر عن قلوب مريضة ونفوس حكمها الهوى، وتحكمت فيها الأنانية والمصلحية، فباتت

تستبيح كل شيء انطلاقاً من معايير ذاتية، لا معايير شرعية رسالية، لذلك نقول: ظاهرة العنف بكل أشكالها تحتاج إلى تشخيص من قِبَل أهل الدين والفكر والرأي، وبعد ذلك يصار إلى اقتراح الحلول ووضع العلاج المناسب لها.

2 ـ العنف الأول انطلق من الأنانية والأثرة

ليس استخدام العنف أمراً عارضاً أو مستجداً، وإنما يشكل استخدام العنف أحد أبرز وجوه التحدي بين المخلوقات. والخالق سبحانه الذي فطر الإنسان على إسلام الربوبية، وأودع فيه لبنات الخير والصلاح، وبعث له الرسل والنبيين هادين ومبشرين ومنذرين، مع هذا جعل الله تعالى في الإنسان استعداداً للوقوع في الفتنة، ولكي تتحرك في نفسه نوازع الشهوة والأنانية والأثرة.

وفي المخلوقات المحيطة بالإنسان ما يغريه بأن يظلم نفسه أو غيره، ويأتي في أول صف من يفتنون الإنسان الشيطان وحزبه، وما هذا كله إلا ليختبر الله تعالى في كل إنسان أمر الطاعة له سبحانه، والالتزام بما أمر به والامتناع عمّا نهى عنه. في هذا السياق، وضمن هذه المفاهيم يجب أن يُطرح الموضوع، فما صور العنف الأولى التي رافقت المخلوقات؟

إبليس أول مستخدم للعنف (المبطن) ضد الإنسان:

بدءاً مع آدم وحواء عليهما السلام في الجنَّة، ومسألة استخلاف الإنسان في الأرض، نرى أن الأنانية قد تحركت في إبليس كبير الشياطين، وعمل الحسد عمله في ذات إبليس، ومع

ذلك بدأت عملية الاختبار الأولى للإنسان الأول، وإذا ما كان سيطيع فيما كُلِّف به، أم أنه سيستدرج للخطأ، فكان الاختبار من خلال الأكل من الشجرة ونهي الإنسانين الأولين عن ذلك، فعمل إبليس ما استطاع في ممارسة الفتنة، فنجحت فتنته، وبذلك يمكن القول: إن هذه الواقعة هي أول عملية عنف تمَّت من خلال الفتنة والإيقاع من إبليس ضد آدم حواء عليهما السلام.

قال الله تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾﴾[1].

طاعة الله تعالى طريق رحمانية، والانسياق مع الهوى ومخالفة ما كُلِّف به المخلوق يحدث بنزعة شيطانية، لكن سبيل التوبة التي تشكل تراجعاً عن الخطأ وتجديد العهد مع الله تعالى هي المخرج، وفي هذا درس لكل منفعل نزغ الشيطان في دمائه حالة نزغ ما، بأنه بإمكانه أن يتراجع رحمة بالعباد والبلاد، وبعداً عن فتن الشياطين ومكرهم، وفي كل هذا نقصد الاستخدام غير المشروع للعنف الذي يكون لمصلحة أو لهوى في النفس، وهنا تبدأ مرحلة العودة بوقفة مع الذات، وندم على ما حصل، ويلي ذلك طلب المغفرة من الله تعالى كما جاء في القرآن الكريم بلسان آدم وحواء: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا

---

(1) سورة البقرة، الآيتان 35، 36.

﴿وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾[1].

لكن توبة آدم وحواء لم تبدِّل من طبيعة إبليس الذي حكمته الأنانية، ودفعته لينصِّب نفسه معياراً، ويجعل منها مقياساً للمفاضلة، كما أنه منح لنفسه حق تحديد موقعه ومهمته، ففسق عن أمر الله تعالى، فهوى به ذلك إلى شر موقع يكون لمخلوق، وكتبت عليه اللعنة إلى يوم الدين. وأنانية إبليس بلغت ذروتها عندما قارن انطلاقاً من معياره نفسه مع الإنسان مخالفاً الأمر الإلهي الذي جاء بشأن استخلاف الإنسان في الأرض، فكان قول الله تعالى الذي ورد على لسان إبليس: ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾[2].

هذه سنة الله في خلقه، وحركة الإنسان عبر التاريخ كانت وستبقى ضمن أحد هذين المنهجين السالفي الذكر: منهج الاستغفار الآدمي الذي يراجع إن وجد نفسه مخطئاً، وهذا منهج يكون صاحبه بعيداً عن العصبية والانفعال، وعن كل شكل غير مشروع من أشكال السلوك، ومنها استخدام القوة عشوائياً، واعتماد العنف العبثي دون أهداف محددة فيها خير العباد والبلاد. أما المنهج الثاني الشيطاني فيقوم على عبادة الذات، وهي شرُّ أنواع الشرك، وأتباع هذا المنهج عنصريون متعصبون منفعلون دوماً، وعملهم يقوم على العنف غير المبرر ضد الآخرين، وما ذلك إلا من أجل ذات يعشقونها ومصلحة خاصة يريدون تحقيقها على قاعدة: «الغاية تبرر

---

(1) سورة الأعراف، الآية 23.

(2) سورة ص، الآية 76.

الوسيلة أو الواسطة»، ونفوسهم مريضة يحكمها الحسد والهوى كنفس إبليس، وبذلك أصيبوا بعمى البصر والبصيرة. هذه السنَّة بدأت في أبناء آدم عليه السلام نفسه لتكون فيها عبرة لأولي الأبصار. فما الذي حصل؟

3 ـ العنف مذهب قابيل

قبل أن أعرض لموقف الإسلام من الإرهاب، أشير بكلمة إلى أن الأصل في الإسلام هو السلام، واستخدام القوة أو العنف لا يكون إلا في حالات الدفاع عن العقيدة أو الوطن أو العرض وما إلى ذلك، لكن لا بد قبل التوسُّع في عرض موقف الإسلام والمسلمين، لا بد من عرض ولو مكثف لظاهرة العنف تاريخياً. وهنا نجد أن استخدام العنف ليس مستحدثاً بل هو ملازم لابن آدم الأول، حيث حملت لنا حكاية ابني آدم هابيل قابيل ما يفيدنا أن الناس رجلان: ملتزم لأمر الله تعالى، وعاصٍ لأمره تعالى.

كان في سنَّة أبناء آدم الأول أن حواء كانت تضع في كل حمل توأمين: ذكراً وأنثى، وكان الأمر أن يتزوج الذكر من توأم سابق الأنثى من توأم لاحق والعكس صحيح، وكانت توأم هابيل غير جميلة، وتوأم قابيل جميلة فائقة الجمال فتحركت في نفس قابيل الأنانية، واستعرَّ في قلبه الحسد، وعلت نقمة الذات عنده فأراد الخروج عن سنة الله وأمره في أبناء آدم الأول، فسوَّلت له أهواؤه استخدام العنف ضد أخيه، فكان بذلك من الظالمين الخاسرين.

سأترك للنص القرآني تصوير الحدث، وفيه قول الله

تعالى: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَيْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾[1].

إن منهج «قابيل» الذي يعتمده بعض من فقدوا الإيمان في قلوبهم أو من ظنوا أن الإرهاب والقتل يجدي نفعاً، وهم واهمون، لمنهج خطير يحتاج أصحابه إلى مراجعة أساليبهم والتراجع عنها، وليتَّعظوا من الدرس الذي لقابيل من مخلوق ليس من عداد بني آدم والمستخلفين في الأرض، وإنما كان الدرس من خلال طائر لا عقل له، وإنما تحرِّكه الغريزة، هو الغراب.

الدرس الذي أتى قابيل جاء عنه في النص القرآني: ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴿٣١﴾ ﴾[2].

«إن عصرنا اليوم عرف أساليب من الظلم والاعتداء على الحرمات والحقوق في كل بقاع الأرض، وعرف طغاة ومستبدين وظالمين تخرَّجوا من مدرسة قابيل ذلك الظالم الأول، فهل لهم أن يتعلموا منه فيصبحوا نادمين على ما

(1) سورة المائدة، الآيات 27 ـ 30.

(2) سورة المائدة، الآية 31.

يفعلون حين يقرأون في قصة ابني آدم، أن الغراب كان أحرص على أخيه وستر سوأته من قابيل؟»[1].

إذا كان الظالمون الذين انغمسوا في الإرهاب واستخدام العنف غير المبرر ضد سواهم، من إخوانهم في الإنسانية أو في الدين أو في الوطن يريدون التراجع عن فعلهم الشنيع، فالواجب عليهم، في هذه الحالة، الاستفادة من قصة ابني آدم وأن يعملوا كي «تسود في الأرض سنة هابيل الذي لم تسوِّل له نفسه قتل أخيه لأنه من المتقين، الذين يعرفون أن الله تعالى قد أعلم الناس بأن ابن آدم مكرَّم ومستخلف في الأرض فلا يجوز هدر كرامته، وأن لكل إنسان حقوقاً وحرماتٍ لا يجوز هتكها، بل من واجب الإنسان، حاكماً كان أم محكوماً، ورئيساً أم مرؤوساً، أن يحافظ على حرمات سواه، وأن يستر سوءاتهم لا أن يهتكها، على الأقل ليكون فعله بمستوى فعل الغراب الذي بعثه الله تعالى معلماً لقابيل قاتل أخيه»[2].

---

(1) السحمراني، الدكتور أسعد، **العدل فريضة إسلامية**، بيروت، دار النفائس، ط1، سنة 1411هـ، 1991م، ص17.

(2) السحمراني، الدكتور أسعد، م. س، ص17.

صور تاريخية عن العنف والإرهاب

إذا كانت وسائل الإعلام الغربية ـ الأمريكية خاصة ـ ومعها وسائل إعلام العدو الإسرائيلي تركز على الإرهاب وتتهم به دولاً أو حركات في العالم العربي والإسلامي، وإذا كانت صور استخدام العنف في المجتمعات العربية والإسلامية تتم في اتجاهين:

1 ـ اتجاه مقاومة الاحتلال والعدوان، وهذا أمر مشروع.

2 ـ اتجاه إرهابي فكري وعسكري تقوده مجموعات توزع مقولات التكفير وترخص لأتباعها القتل والتدمير، وهذا أمر مرفوض ولا يقره الإسلام أو أية شريعة.

إلا أنه يبقى من المفيد أن يتوقف البحث أمام صور للاستخدام غير المشروع للعنف، وذلك يبيِّن بأن بعض هذه الصور لا يزال أصحابها يستخدمونها وإن بأشكال مختلفة. والصور التي ستُعرض هي من فكر يهود وممارساتهم، ومن فكر أوروبا وأمريكا ملحق أوروبي وممارساتهم.

أ ـ الإرهاب الصهيوني في الفكر والممارسة

1 ـ تمهيد:

يشكل الإرهاب السمة الرئيسة لفكر الصهاينة، وهذا المنهج نابع من نصوصهم التي خطُّوها وتضمنها العهد القديم (التوراة قسم منه) والتلمود، حيث زعموا أنهم شعب الله المختار مما ولَّد عندهم حالة استعلاء ونزعة عدوانية ضد الأمم والشعوب، وأنتج ذلك، على امتداد تاريخ يهود حسب المصادر المتنوعة، نمطاً عنصرياً كانت له نتائج مؤذية على من يتمكنون منه. وبالمقابل أنتج ذلك حالات من العداء ضدهم من الشعوب التي يتوجهون إليها بالأذى، فعاشوا بسبب ذلك حالة من عدم الاستقرار، وسيبقون كذلك لأن ما يؤمنون به ويلتزمون به من نصوص وأفكار يجعل من الصعوبة بمكان أن تكون بينهم وبين أية مجموعة بشرية علاقات مستقرة.

إن نصوص المسيحية والإسلام، والمصادر التاريخية تحمل لنا الكثير مما يبرهن على الروح العنصرية التي يعتمدها يهود، وصور عدوانهم طالت مختلف الناس بمن في ذلك الأنبياء صلوات الله عليهم، أي أن عنصريتهم وعدوانيتهم لم ترعَ حرمة ولم تلتزم عهداً أو ميثاقاً، بل إن العنف والحقد والقتل كان من سمات سلوكهم.

ونذكر في هذا الباب هذا النص من إنجيل مرقس: «وكانوا في الطريق صاعدين إلى أورشليم، وكان يسوع يتقدمهم وهم منذهلون يتبعونه خائفين فأخذ أيضاً الاثني عشر وابتدأ يقول لهم ما سيعرض له. هوذا نحن صاعدون إلى

أورشليم وابن البشر سيسلم إلى رؤساء الكهنة والكتبة فيحكمون عليه بالموت ويسلمونه إلى الأمم، فيهزأون به **ويبصقون عليه ويجلدونه ويقتلونه** وفي اليوم الثالث يقوم»[1].

والقرآن الكريم جاءنا بنصوص كثيرة تبلغنا عن عنصرية بني إسرائيل ويهود، وعن عدوانهم واستباحتهم للحرمات، من هذه الآيات قول الله تعالى: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾﴾[2].

وقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾﴾[3].

إن تتبع محطات التاريخ التي تدور حول بني إسرائيل، أو يهود أو الصهاينة، اليوم تحمل على الإقرار بأن العنف والعنصرية عنوانان أساسيان في المسيرة التاريخية لهذا الشعب.

و«تأتي الأحداث يوماً بعد يوم لتؤكد التزام يهود لأسلوب العنف تحقيقاً لأهدافهم. وإذا كانت اليهودية قد تحولت في الغالب، إن لم نقل بشكل شامل، إلى حركة صهيونية لها مشروعها السياسي الذي يهدف إلى إقامة «إسرائيل الكبرى» تحقيقاً لوعد مزعوم في نص محرَّف، فإن الصهيونية، بكل

---

(1) إنجيل مرقس، الإصحاح العاشر، الآيات 32، 33، 34.

(2) سورة آل عمران، الآية 181.

(3) سورة المائدة، الآية 70.

أتباعها وتفرعاتها، جاءت مبنية على يهودية ترى فلسفة العنف من أهم ما يمكِّنها من الوصول إلى ما تريد»[1].

ولهذه الغاية نرى أن قادة العدو الإسرائيلي قد حوَّلوا مجتمعهم المُغتصِب لفلسطين إلى ثكنة عسكرية كبيرة، وكل مواطنيها عسكريون مدربون ومسلحون، إن رئيس وزراء العدو نتنياهو يؤكد ذلك مبرراً بأن فعلهم هذا من أجل ردع المقاومة التي تواجههم والتي يسمونها إرهاباً، فيقول: «فمثلاً قطاع كثير من الشعب الإسرائيلي يتكون من رجال الاحتياط في الوحدات العسكرية، وكثير منهم يحمل السلاح الخفيف، الأمر الذي يقلل من إمكانية تنفيذ هجمات إرهابية ناجحة، وميزة هذه الوسائل لا تبدو نسبياً ظاهرة للعيان، كما ليس لها تقييد على حرية المواطنين، فالمواطنون لديهم الاستعداد بشكل كبير للهجوم الإرهابي المتوقع حدوثه»[2].

السلاح موجود إذاً مع كل مواطن، ولا قيد على استخدامه ضد أصحاب الأرض العرب ليس حيال أي هجوم، وإنما ضد هجوم متوقع، أي يتوهم هجوماً فيقوم بفعل قتل أو طرد للناس ولا قيد على أفعاله.

2 ـ النزعة الإرهابية في الفكر اليهودي والصهيوني:

إن الأدبيات الدينية المعتمدة عند يهود في العهد القديم،

---

(1) السحمراني، د. أسعد، **المشروع الصهيوني الجديد**، بيروت، دار النفائس، ط1، سنة 1417هـ ـ 1997م، 87.

(2) نتنياهو، بنيامين، **محاربة الإرهاب**، ترجمة عمر السيد وأيمن حامد، القاهرة، دار النهار، ط1، سنة 1996، ص27.

والتلمود عمادها، نصوص تزرع روح الاستعلاء والعدوانية.

لقد أورد النص القرآني في سورة البروج قصة إحراق يهود اليمن للمسيحيين وكان ذلك صورة من صور العنف البشعة التي يمارسها هؤلاء المؤمنون بأنهم شعب الله المختار، وأن دماء الشعوب مستباحة لهم حسب زعمهم.

والسبب، كما حمل النص القرآني، هو أن المسيحيين يؤمنون بالله تعالى ويهود اليمن مع حاكمهم لم يرضهم ذلك، والحادثة جرت قبل الإسلام. قال الله تعالى: ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٨﴾﴾[1].

في الآية: ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ﴿٤﴾﴾، أي لُعن من حفروا أخدوداً عظيماً مستطيلاً في الأرض كالخندق وأقدموا على إحراق مؤمنين مسيحيين فيه. «قال الضحاك: هم قوم من النصارى كانوا باليمن قبل مبعث رسول الله ﷺ بأربعين سنة، أخذهم يوسف بن شراحيل بن تُبع الحميري (يهودي) وكانوا نيفاً وثمانين رجلاً، وحفر لهم أخدوداً وأحرقهم فيه»[2].

إن يهوداً يبيحون لأنفسهم استخدام العنف ضد كل من ليس يهودياً. فهم - حسب زعمهم - شعب الله المختار، وما عداهم هم «غوييم» أي الأغيار أو الأميون، ولكن تلمودهم

---

(1) سورة البروج، الآيات 4ـ 8.

(2) القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج19، بيروت، دار إحياء التراث العربي، بدون تاريخ، ص289.

يحمل أوصافاً للغوييم تجعل منهم حيوانات بهيئة بشر.

يزعم يهود أنهم «شعب الله المختار»، وقد صاغوا نصوصاً في «العهد القديم» تخدم فكرتهم هذه منها: «والآن إن امتثلتم أوامري وحفظتم عهدي **فإنكم تكونون لي خاصة من جميع الشعوب لأن جميع الأرض لي**»[1].

ومنها: «لأنك شعب مقدس للربّ إلهك **وإياك اصطفى الرب إلهك** أن تكون له أمة خاصة من جميع الأمم التي على وجه الأرض»[2].

ونصوصهم الموضوعة تفيض بالعدوانية وروح العنف والقتل والدمار، وفي كل ذلك ينسبون الأوامر للرب مما يجعل للإجرام والعدوان قداسة في فكر يهود والصهاينة. ولمن يراهنون على سلام مع القاتل والمغتصب للأرض والمقدسات والمنتهك للحرمات، نذكر بعض ما جاء عند يهود في العهد القديم، من نصوصهم التي تبرز منهجهم العدواني هذا النص: «فاضرب أهل تلك المدينة بحدِّ السيف وأبسلها بجميع ما فيها حتى بهائمها بحدِّ السيف. وجميع سلبها أجمعه إلى وسط ساحتها، واحرق بالنار تلك المدينة وجميع سلبها جملة للرب إلهك فتكون ركاماً إلى الدهر لا تبنى بعد»[3].

إن التربية عند يهود ليس فيها اعتبار لحرمات تخص

---

(1) سفر الخروج، الإصحاح 19، آية 5، 6.

(2) سفر تثنية الاشتراع، الإصحاح 7، آية 6.

(3) سفر تثنية الاشتراع، الإصحاح 13، آية 15، 16.

سواهم، وإنما يتصرفون دوماً على أن ما لسواهم مستباح لهم يحرقون ويدمرون ويقتلون، وبعد ذلك يتسلحون بأن فعلهم هذا نابع من أوامر أمرهم بها الرب حسب زعمهم. جاء عندهم في سفر يشوع ما يلي: «ولما فرغ بنو إسرائيل من قتل جميع سكان العيّ في الصحراء وفي البرية حيث لحقوهم وسقطوا جميعهم بحد السيف عن آخرهم، رجع جميع إسرائيل إلى العيّ وضربوها بحدِّ السيف. وكان جملة من قُتِل في ذلك اليوم من رجل وامرأة اثنا عشر ألفاً جميع أهل العيّ، ولم يردّ يشوع يده التي مدَّها بالحربة حتى أبسل جميع سكان العيّ. فأما البهائم وسلب تلك المدينة فغنمها إسرائيل لأنفسهم على حسب أمر الرب الذي أمر به يشوع. وأحرق يشوع العيَّ وجعلها تلَّ رَدْم إلى الأبد خراباً إلى هذا اليوم»[1].

إن نصوصهم تفيد بأنهم أعداء الإنسان وكل من ليس على مذهبهم، وهنا نص يؤرخون فيه لقتالهم مع بني مدين، فليتأمل القارىء مزاعمهم: «فقاتلوا مدين كما أمر الرب موسى وقتلوا كل ذكره... وسبى بنو إسرائيل نساء مدين وأطفالهم وجميع بهائمهم ومواشيهم وأثاثهم غنموها. وجميع مدنهم مع مساكنهم وقصورهم أحرقوها بالنار»[2].

«لا أجد داعياً للإطالة، في عرض النصوص الواردة في

---

(1) سفر يشوع، الإصحاح 8، آية 24 وما بعدها.

(2) سفر العدد، الإصحاح 31، آية 7 وما بعدها.

العهد القديم، والتي تدعو كلها بني إسرائيل إلى إبادة أعدائهم، وحرق مدنهم، وسلب كل ما عندهم، لكن ما أوردته أردت أن يتبين القارىء من خلاله كيف يفكر ويخطط أصحاب الثقافة التوراتية، ويكون تبيُّنه هذا ـ ربما ـ مدخلاً كي يقتنع بأهمية الإعداد لمواجهتهم، ودفع خطرهم المحدق بكل الناس، فأطماعهم لا حدود لها، وهي تقف أو تنطلق وفق قدرتهم القتالية»[1].

أما الثقافة التلمودية، وهي الأبلغ أثراً في الفكر الصهيوني، فدرجة العنصرية فيها تفوق ما ذكرناه عن الثقافة التوراتية بكثير، ولعل السبب في ذلك يرجع إلى أن التلمود قد تمت صياغته في أواخر القرن السادس للميلاد، ولهذا نجد فيه نصوصاً كثيرة تصرح بتحقير المسيحية وتعاديها، وهذا ما دفع قادة أوروبا في القرون الوسطى إلى إحراق نسخ التلمود أكثر من مرة.

نكتفي بذكر هذا النص التلمودي لنأخذ فكرة عن روحية نصوص هذا السفر اليهودي الخطير بما يشيعه بين أتباعهم، وفيه قولهم: «الخارج عن دين اليهود حيوان على العموم فسمِّه كلباً أو حماراً أو خنزيراً، والنطفة التي هو منها هي نطفة حيوان، وقال الحاخام (أبار بانيل): المرأة غير اليهودية هي من الحيوانات، وخلق الله الأجنبي على هيئة الإنسان ليكون لائقاً لخدمة الذين خلقت الدنيا لأجلهم لأنه لا

---

(1) السحمراني، د، أسعد، **من اليهودية إلى الصهيونية**، بيروت، دار النفائس، ط1، سنة 1413هـ ـ 1993م، ص179.

يناسب لأمير أن يخدمه ليلاً ونهاراً حيوان وهو على صورته الحيوانية»[1].

وإذا كان كتاب «بروتوكولات حكماء صهيون» غير مؤكد أمره إن كان من إنتاج يهود أو منسوب إليهم، لكن نصوصه تذهب المذهب نفسه الوارد في العهد القديم والتلمود، وما فيه يعبر عن الروح العنصرية نفسها. فقد جاء في البروتوكول الأول:

«لا علاقة للسياسة بالأخلاق قط، وإن الحكومة التي تسير بالأخلاق ليست حكومة رجال خبرة سياسية، وبالتالي فإنها ليست مكينة في مقاعدها، إن الذي يريد أن يحكم عليه أن يعتمد على الخداع والمكر، وإن الاستقامة والصرامة اللتين هما فضيلتين شعبيتين، تصبحان نقيصتين في السياسة، لأنهما أشد فتكاً في الكيان الحكومي من أقوى الأعداء... إن حقنا يكمن في قوتنا... إن صاحب الحق هو الذي يملك القوة الكافية لتدمير كل المؤسسات، وكل نظام قائم»[2].

إن هذا النص يأتي إلى ما ورد آنفاً مبيناً مدى ما يعتمد يهود والصهاينة اليوم على عنصر القوة، وكيف أنهم لا يبالون بالقيم والمبادىء، ولا يحترمون سواهم، وإنما كل همهم أن يحققوا ما يطمحون إليه مستبيحين كل شيء، ولا شيء محظور عندهم ما دام يساعد على تحقيق أهدافهم، هذه

---

(1) روهلنج، د. أغسطس، **الكنز المرصود في قواعد التلمود**، ترجمة د. يوسف نصر الله، مصر، مطبعة المعارف، ط1، سنة 1899م، ص53.

(2) **بروتوكولات حكماء صهيون**، ترجمة وتقديم د. إحسان حقي، بيروت، دار النفائس، ط1، سنة 1408هـ ـ 1988م، ص34.

الروح المثقلة بالعنصرية وبالعدوانية هي التي أنتجت فكرهم السياسي الذي ترجموه ويترجمونه اليوم من خلال مشروعهم في اغتصاب فلسطين وما يحيط بها.

3 ـ الإرهاب ملازم لمشروع دولة إسرائيل:

إن مشروع الإسرائيلي الذي أسس لكيان محتل مغتصب، قام منذ خطوته الأولى على الإرهاب، فالأطماع بفلسطين جاءت تلبي أطماعاً للمنظمات الصهيونية، وفي الوقت عينه جاءت تلبي رغبة استعمارية غربية، وأميركية لاحقاً، في زرع جسم غريب عميل لهم يهدد أمن الأمة العربية والمنطقة عموماً، ويقوم بحراسة مصالحهم.

إن دولة إسرائيل هذه قامت على الإرهاب منذ الأساس، فقد قامت المستعمرات على شكل تجمعات مموَّلة من الغرب ومدعومة منه، وتوافدت الهجرات اليهودية إلى أرض فلسطين في إطار تركيز مواقع استيطانية مسلحة تمهيداً لإقامة الدولة المغتصبة.

لقيام الدول قاعدة هي توافر أرض يعيش عليها شعب، هذا الشعب ينظم سلطة ودستوراً ويقيم مؤسسات ومنها مؤسسات عسكرية لحماية أمن الدولة، أما دولة العدو فقد قامت بشكل مخالف لسنن قيام الدول، حيث تشكلت عصابات مسلحة ومالية لاغتصاب أرض، وقامت هذه العصابات بتهجيرها باتجاهين: تهجير أهل البلد من أرضهم وممتلكاتهم وتشريدهم وقتل بعضهم بفرض زرع الرعب فيهم، وتهجير يهود من مناطق عديدة في العالم من خلال

الضغط أو افتعال حوادث أمنية وإقناعهم بأن يأتوا ليستوطنوا في فلسطين المحتلة.

إن تتبع مشروعات الاستيطان اليهودي المدعومة من الغرب كان الأساس في خططهم، فقد تلازم الغزو الصهيوني لفلسطين مع تأسيس العصابات المسلحة. فقد «تأسست أول منظمة عسكرية هي الحارس (هاشومير) في العام 1909، وتتابع بعد ذلك تأسيس المنظمات مثل فرقة البغالة الصهيونية (1915)، والفيلق اليهودي (1915 ـ 1916)، والهاغاناه (1921)، والبيتار (1923) والإرغون (1931)، وشتيرن (1937)، واللواء اليهودي (1939 ـ 1945)، والجدناع (1939) والبالماخ (1941). وقد انحلَّ قسم من هذه المنظمات، واندمج بعض منها بالآخر، وكانت الهاغاناه هي المنظمة العسكرية الأولى التي ضمت إليها عدة منظمات، وسيطرت مع ذراعها الضاربة البالماخ على الجانب العسكري من الغزوة الصهيونية، وغدت جيش الوكالة اليهودية ثم تحولت في ما بعد إلى جيش الدفاع الإسرائيلي يوم أن قامت الدولة»[1].

إن الجيش البريطاني، مدعوماً من الغرب عموماً، قدم للصهاينة كل الدعم والتسهيلات لممارسة العنف ضد الفلسطينيين تنفيذاً لأوسع عملية تهجير وإبادة لا تماثلها إلا عمليات الأوروبيين في القارة الأمريكية حين أبادوا وشردوا

---

(1) الكيلاني، د. هيثم، **الاستراتيجيات العسكرية للحروب العربية الإسرائيلية**، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، سنة 1991، ص87.

سكان البلاد الأصليين، الهنود الحمر، وكأنهم أرادوا أن ينفذوا مشروعاً مماثلاً مرة ثانية في التاريخ.

وهكذا بدأت الهجمات اليهودية المسلحة على السكان العرب طوال العام 1947 والأشهر الأولى من العام 1948 إلى حين قيام الدولة المغتصبة في أيار/ مايو من العام 1948. وفي حين كان «عرب فلسطين غير مستعدين للحرب على الإطلاق، غير مسلحين في الغالب، وفي وضع دفاعي، شنّت الهاغاناه والإرغون تسفائي ليئومي (الإرغون)، ولومامي حيروت يسرائيل (ليحي أو عصابة شتيرن) ضربات هجومية منسَّقة ضد المدنيين العرب في المدن الرئيسية الثلاث، حيفا والقدس ويافا، وكذلك في الريف، ونفذت سلسلة من الغارات الليلية، وعمليات التفجير العشوائية، وتدمير المنازل، والمجازر الهادفة إلى ترويع العرب وحملهم على الرحيل»[1].

ومن الهجمات اليهودية المتعددة، وهي أكثر من أن تحصى وأن تذكر، واقعتان، كنموذج على الإرهاب الصهيوني في الممارسة:

1 ـ حادثة تفجير فندق سميراميس في القدس، التي حصلت ليلة 5 كانون الثاني/ يناير من العام 1948، حيث فجرت الهاغاناه الفندق الذي يقع في ضاحية القطمون، فقتل

---

(1) مصالحة، د. نور الدين، **طرد الفلسطينيين، مفهوم الترانسفير في الفكر والتخطيط الصهيونيين (1882ـ 1948)**، بيروت، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ط1، سنة 1992، ص143.

12 مدنياً عربياً ونائب القنصل الأسباني وجرح اثنان من العرب. وكان بين القتلى أربع نساء وخمسة أطفال.

2 ـ مذبحة دير ياسين، وقد حصلت في 9 نيسان/ أبريل عام 1948، وقامت بها منظمتان هما الإرغون وليحي، وقد نفذت بالتعاون مع قائد الهاغاناه في القدس دافيد شلتيئيل، وقد قتل فيها 250 شخصاً بعد أن تم أسرهم، معظمهم من الأطفال والنساء وكبار السن.

ولم يكتفِ الصهاينة بالمذابح وإنما أرادوا تدمير المؤسسات والاقتصاد والعمران. وقد صرح بذلك يفئيل يادين، وهو من مسؤولي الهاغاناه، مع مطلع العام 1948 حيث قال: «يجب أن نشلَّ المواصلات العربية والاقتصاد، وأن نضيِّق عليهم الخناق في الريف والمدن، فهذه هي الوسيلة لتدمير معنوياتهم»[1].

وتوالت بعدها عمليات الإرهاب الصهيوني، وقد توزعت في الأرض المحتلة والدول المحيطة بفلسطين: مصر والأردن وسوريا ولبنان، ووصلت إلى مطار عينتيبة في أوغندا، وتونس والمفاعل النووي في العراق، ومن هذه المذابح التي تعطي بياناً واضحاً عن المنهج الإرهابي للصهاينة فكراً وممارسة، مجزرة مدرسة بحر البقر في مصر، ومجزرة قانا في لبنان يوم 18 نيسان/ أبريل 1996، ومجزرة الحرم الإبراهيمي التي نفذها غولدشتاين في ربيع العام 1994.

---

(1) مصالحة، د. نور الدين، م. س، ص159.

أما عن مصادرة الأراضي والمنازل والممتلكات والعدوان على المقدسات، من حريق المسجد الأقصى في آب أغسطس من عام 1969، إلى سرقة كنيسة القيامة والعدوان على المقدسات الإسلامية والمسيحية فإن القائمة تطول. وعن تدمير المنازل لإقامة المستعمرات على أنقاضها فحدِّث ولا حرج، فالفكر إرهابي والممارسات كذلك، والمشروع توسعي ولا حدود لعدوانهم وأطماعهم.

إن المستعمرات التي بناها ويبنيها قادة العدو في الأرض المحتلة أشبه ما تكون بحصون طبيعية تتمتع بالاكتفاء الذاتي، ومبنية على أسس عسكرية على رؤوس الجبال وتقاطعات الطرق، مما يمكنها من السيطرة على المناطق المجاورة ويسهل الدفاع عنها، ويرضي عقدة المجتمع الإسرائيلي بالشعور بالأمن.

«فهذه المستوطنات تقوم على وجود طلائع مدربة على السلاح، وسكانها جنود ومحاربون مثلما هم عمال ومزارعون، ووجودهم في هذه المستوطنات يغني إسرائيل عن الاحتفاظ بقوات عسكرية ضاربة على الحدود، ويوفر هذه الأيدي للمجال الاقتصادي، وتمثل هذه المستوطنات نقاط مقاومة وهجوم أمامية في الوقت نفسه»[1].

فكل تجمعاتهم السكنية يؤسسون لها على أساس مذهب

---

(1) بركات، د. نظام محمود، **الاستيطان الإسرائيلي في فلسطين بين النظرية والتطبيق**، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، سنة 1988، ص238، 239.

القوة، ويدربونها على العنف والإرهاب، وإذا أردنا أن نحدد نظرية الأمن الإسرائيلي ونتعرف على ركائزها فيمكن أن نجملها بالأمور التالية:

1 ـ القوة العسكرية المتفوقة سلاحياً وتقنياً وإعداداً.

2 ـ الارتباط الاستراتيجي بالولايات المتحدة.

3 ـ استراتيجية الردع.

4 ـ منع البلدان العربية من امتلاك السلاح النووي، أو أي سلاح ذي تدمير شامل.

5 ـ الحدود الآمنة والحدود القابلة للدفاع عنها»[1].

وقد عملت إسرائيل، مدعومة بالولايات المتحدة والغرب، من أجل امتلاك السلاح النووي والأسلحة الأخرى لتؤمن التفوق العسكري في إطار خوض حرب نفسية تحمل فيها العرب على الاستسلام ـ هكذا تظن وتتوهم ـ وتعمل على هذا الأساس من خلال حملات إعلامية وسياسية، وتسعى مع أمريكا لإتمام حلف الشرق الأوسط الذي يريدون، من خلاله، نزع هوية الأمة وتحقيق أوسع عملية اجتياح غير جغرافية بل اقتصادية وثقافية وسياسية. وقد بيَّن الأخ كمال شاتيلا هذا الخطر بقوله: «إننا كعرب نواجه حرباً نفسية ضارية لا تقارن بحرب هتلر النفسية حينما اكتسح نصف القارة قبل أن تصل قواته العسكرية إليها، فالحرب النفسية ضدنا تتولاها وسائل إعلام متفوقة وكاسحة، تريدنا أن نستسلم لقوى وأوهام قبل أن نحاول التقاط الأنفاس

(1) الكيلاني، د. هيثم، م.س، ص567.

والصمود. . . تريدنا أن نقتنع باستحالة النهوض من الكبوة لنترك مصيرنا بأيدي غيرنا يشكله وفق غاياته ومصالحه»[1].

إن غاية الإرهاب الصهيوني المدعوم أمريكياً وغربياً أن تنجح الحرب النفسية وتستباح الأمة العربية من قبلهم، أما السلام المزعوم فأكذوبة لا تؤيدها الوقائع.

4 ـ الإرهاب والعنصرية في مشروعهم الحالي:

لم تغير الأحداث من النمط العنصري الإرهابي للصهاينة، ولا مؤتمر مدريد الذي ذهب إليه العرب راضين بالمظلة الأمريكية المنحازة بدَّل من الأمر شيئاً، بل أسهم في ازدياد غطرسة العدو، وزاد من أطماعه في الأمة، لأن المواجهة على أساس قطري، بدل المواجهة القومية الشاملة، هي التي يريدها العدو في الحرب، أو على طاولة المفاوضات لأنها تمكّنه من فرض شروطه. «وحتى الآن لم نقرأ تصريحاً إسرائيلياً رسمياً يتخلى عن مشروع إسرائيل الكبرى، ولا عن أسس العقيدة الصهيونية. . . فعن أي سلام يتحدثون، وهم يأتون إلى طاولة المفاوضات معبئين بعقيدة عنصرية ملؤها العنف والقتل والإبادة والاستعلاء»[2].

وإذا كان شمعون بيريز، رئيس وزراء العدو الأسبق، قد طرح مشروعاً متكاملاً لاجتياح الأمة العربية، وذلك من

---

(1) شاتيلا، كمال، **التضامن العربي لماذا تراجع وكيف يستعاد؟**، بيروت، المركز الوطني للدراسات والنشر، بدون تاريخ، ص8.

(2) شاتيلا، كمال، **رؤية قومية لمسار التسوية**، بيروت، المركز الوطني للدراسات والنشر، بدون تاريخ، ص15.

خلال كتابه «الشرق الأوسط الجديد»، يطول البحث لو أردنا الوقوف على تفاصيل مشروعه، إلا أننا نتوقف قليلاً مع رئيس وزراء العدو الحالي نتنياهو الذي يعبر، بشكل صريح، عن دفائن النفسية اليهودية والصهيونية حتى المستترة بالسلام المزعوم.

يقول نتنياهو مؤكداً على ضرورة توفير أسباب القوة لدولة العدو الإسرائيلي لضمان تفوقها على العرب ما يلي:

«إن السلام بين إسرائيل وجاراتها، هو سلام ردع، وإن احتمال تحقيقه يرتبط بصورة مباشرة على قدرة إسرائيل في الردع. فكلما بدت إسرائيل أقوى، كلما أبدى العرب موافقتهم على إبرام السلام معها»[1].

ويقول نتنياهو كذلك: «لا أمن باستثناء الأمن الذي يعتمد على ردع المعتدي، وهذا هو السلام الوحيد الممكن تحقيقه حالياً بين إسرائيل والعرب، سلام مسلَّح وحذر، يوفر لإسرائيل درجة كافية من القوة القادرة على ردع الجانب العربي عن استئناف الحرب»[2].

هذه هي الحقيقة التي يبني عليها العدو، إنها الإرهاب واسخدام التفوق العسكري، وأمريكا منحازة له تموّله بما يحتاجه لهذه الغاية، ولم يجتمع هذا الشتات اليهودي من خلال المشروع الصهيوني من قوميات متعددة وبلاد مختلفة

---

(1) نتنياهو، بنيامين، **مكان تحت الشمس**، ترجمة محمد عودة الدويري، مراجعة كلثوم السعدي، عمان، دار الجليل، ط1، سنة 1995، ص288.

(2) نتنياهو، بنيامين، م.س، ص291.

إلا لما يحمل من فكر عنصري ومنهج إرهابي ونوايا عدوانية توسعية.

5 ـ خاتمة:

اليوم، ونحن نقف أمام مفترق خطير هو الذكرى الخمسين لاغتصاب فلسطين، وحبات السبحة لا تزال تكر، والعدو يزداد غطرسة، ويحشد ما استطاع من آلة الحرب بمختلف أنواعها مدعوماً من أمريكا والغرب، لا بد لنا من أن نضع إصبعنا على الجرح ونرسم استراتيجية المواجهة، ونقترح لذلك ما يلي:

1 ـ الإعداد والاستعداد وتوفير القوة تحقيقاً لحركة مقاومة ومجابهة على قاعدة: إن ما أخذ بالقوة لا يسترد بغير القوة.

2 ـ الانتقال بالمواجهة وباستراتيجية الصراع من القطرية إلى القومية، ومن الانفراد بالموقف إلى التضامن العربي المواجه من خلال خطة موحدة تحت سقف جامعة الدول العربية.

3 ـ الحفاظ على الوحدة الوطنية في بلداننا لأنها مستهدفة، فالتفتيت ومشروع الدويلات والصراعات في الجبهة الداخلية العربية، كل هذه الأشياء تمكّن العدو من مخططه وتحقيق مؤامراته ضد أمتنا.

4 ـ في مراحل المواجهة حتى يومنا هذا، وعلى امتداد نصف قرن، لم تُعطَ الفرصة الكافية لشعب الأمة بكل قواه الحيّة كي يشترك في معركة المصير والوجود، لذلك من الأهمية بمكان أن تُطلق الطاقات وتُحشد الإمكانات في

مختلف الميادين لجبه الخطر ودفعه تمهيداً لتحرير الأرض والمقدسات واسترداد الحقوق.

5 ـ كل الجهود يجب أن تصبَّ في خانة المعركة ضد العدو الصهيوني ومن يقف وراءه، وبالتالي لا يصح التلهِّي بأية نزاعات جزئية يثيرها هذا الفريق أو ذاك، ولنلتزم الشعار القائل: لا صوت يعلو فوق صوت المعركة، ولا نداء أقدس من ندائها.

6 ـ من المفيد عربياً، بعد رسم استراتيجية للمواجهة رسمية وشعبية تحت سقف جامعة الدول العربية، أن تستمر قوى الدعم لنا في منظمة المؤتمر الإسلامي والأصدقاء كافة من دول العالم الذين يؤيدون حقنا المشروع في استرداد أرضنا المغتصبة وحقوقنا المسلوبة.

ب ـ الإرهاب عند المسيحيين وفي الغرب (أمريكا خاصة)

عرف تاريخ المسيحية، ولا يزال، من خلال ما نراه في إيرلندا مثلاً، صراعات استُخدم فيها الإرهاب والعنف بأشكال مختلفة، ومن أنواع الإرهاب في المسيحية ما كان دينياً، ومنه ما كان عسكرياً، ومنه ما كان فكرياً.

إن قراءة تاريخ الكنيسة في قرونها الثلاثة الأولى التي انتهت عام 325م بصدور دستور الإيمان النيقاوي بعد مجمع كنسي عُقد بدعوة من قسطنطين الثاني الذي اعتنق المسيحية بعد أن كان وثنياً، تعطينا فكرة عن الإرهاب الذي مورس بإصدار الحرم الكنسي بحق كل من طرح مفهوماً دينياً لاهوتياً، خاصة

في باب العقيدة، يخالف ما تم إقراره في مجمع نيقية عام 325م، وكان من ذلك نفي آريوس، وعزل نسطوريوس من المنصب البطريركي عام 431م وغير ذلك كثير.

وإن التوقف عند الحروب الدينية الطابع، التي بدأت مع نهايات القرن الحادي عشر للميلاد، والتي سميت باسم حروب الفرنجة وأصحابها سموها الحروب الصليبية متخذين لها ذرائع دينية، يعطينا فكرة عن أحداث تلك الحروب التي صب الغرب من خلالها وحشيته وعنصريته ضد الشرق، وضد المسيحيين الأرثوذكس أولاً، ومن ثم ضد المسلمين ثانياً، ونترك لمؤرخين مسيحيين أوروبيين أن يعطوا الصورة عن الحملات المتسترة بالصليبية. يقول أفغراف سيمرنوف: إن «الحروب الصليبية قد سببت لمسيحيي الشرق كثيراً من الشرّ بدلاً مما انتظروه من تخفيف حالهم... وبدأ التضييق منذ الحملة الصليبية الأولى سنة 1096م. فالصليبيون الخشنون بينما كانوا يمرُّون في الأملاك الأوروبية التابعة للملكة البيزنطية عاملوا اليونان والكنيسة الأرثوذكسية باحتقار وبغض مدفوعين إلى ذلك بتشجيع رجال الدين اللاتين. وحدثت عدة مناسبات بدأ فيها الصليبيون بنهب اليونان. ولما انتقلوا إلى آسيا وأخذوا ينتزعون من الأتراك، شيئاً فشيئاً، المقاطعات اليونانية ضيَّقوا تماماً على سكان الشرق الأرثوذكسيين بدعاياتهم اللاتينية والبابوية الاغتصابية»[1].

(1) سميرنوف، أفغراف، **تاريخ الكنيسة المسيحية**، عربه المطران ألكسندروس - لا بلد نشر، ولا تاريخ، ص369.

إن العنف الذي مارسه الأوروبيون الكاثوليك، أبان حملتهم العسكرية على القسطنطينية في بداية الحروب الصليبية، حيث كان سبق ذلك الانقسام النهائي بين الكنيستين الأرثوذكسية والكاثوليكية عام 1054م، لم يعرفه تاريخ الكنيسة، ونترك للمؤرخ أرنولد توينبي الحديث عن ذلك حيث يقول: «والمصيبة الكبرى حلَّت بالأمبراطورية الرومانية الشرقية في 1204م، فقد هوجمت القسطنطينية واحتُلَّت مرتين من قبل قوة مشتركة من البنادقة الصليبيين الفرنسيين. في المرة الأولى، قام المهاجمون بذلك لحساب مدَّعٍ للعرش الأمبراطوري الشرقي، وفي الثانية كان العمل لحساب المهاجمين أنفسهم. وكانت هذه هي المرة الأولى التي تمكَّن فيها أعداء من مهاجمة القسطنطينية واحتلالها منذ نشأتها سنة 333م، وقد نُهبت المدينة بوحشية»[1].

إن هذا العنف الذي مارسه الأوروبيون ضد الكنيسة الأرثوذكسية في القسطنطينية بلغ حداً لا يقبله منطق، حيث استباح الأوروبيون الصليبيون حرمات الكنائس، ومارسوا أشكالاً من الإرهاب والاستخدام غير المشروع للقوة، وصدرت منهم أفعال يندى لها الجبين.

ينقل ذلك تيموثي وير فيقول: «قد حصلت أمور أخرى أكثر بشاعة الـ 1204م، عند الاستيلاء على القسطنطينية خلال الحملة الصليبية الرابعة... وفي نهاية الأمر، ضاق

(1) توينبي، أرنولد، **تاريخ البشرية**، ترجمة د. نقولا زيادة، بيروت، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، سنة 1986، ص163.

الصليبيون ذرعاً. . . وأعملوا في المدينة السلب، ولم يكن الشرق المسيحي لينسى قط أيام السلب الثلاثة الرهيبة هذه.

قال نيسيتاس كونياتس محتجاً على هذه الأحداث: حتى البربر رحيمون وطيبون إذا ما قيسوا بهؤلاء الرجال الحاملين صليب المسيح على أكتافهم.

وإن أكثر ما آثار مشاعر اليونانيين انتهاك الصليبيين للمقدسات على نطاق كامل ومنحل. . . ورأى البيزنطيون كيف أن الصليبيين يهدمون المذابح ويحطمون الإيقوفسطاس ويُجلسون العاهرات حتى على العرش البطريركي في كنيسة آجياصوفيا، كانوا مرغمين على الاعتقاد بأن هؤلاء الذين يرتكبون أفعالاً كهذه ليسوا مسيحيين بالمعنى الذي هم فيه مسيحيون. . . لم يدرك المسيحيون الغربيون حتى الآن مدى القرف والذعر والاشمئزاز الذي خلَّفه عند الأرثوذكسيين نهب القسطنطينية على يد الصليبيين»[1].

لم تكن هذه الحالة من العنف إبان الحروب الصليبية فحسب، بل عاشت أوروبا حروباً دينية طاحنة ومنها ما كان بين الكاثوليك أنفسهم، وقد استمرت هذه الحروب من عام 1494م إلى عام 1648م، وكان أطرافها فرنسا وإنكلترا وهولندا وألمانيا. وفي فرنسا مثلاً، في حرب الثلاثين سنة (1618 ـ 1648)، قاد الحرب الدينية اثنان من الكرادلة هما ريشيليو (1585م ـ 1642م) ومازاران (1604م ـ 1660م).

(1) وير، تيموثي، **الكنيسة الأرثوذكسية في الماضي والحاضر**، بيروت، منشورات النور، سنة 1982، ص84، 85.

وإذا انتقلنا إلى حالة الانقسام في الكنيسة وما تبعه من صراع كاثوليكي ـ بروتستانتي في الغرب عموماً نرى مقدار التعصب والعنف المستخدَم، والذي لا تزال إحدى صوره بارزة للعيان في الصراع الديني المتواصل بين الكاثوليك والبروتستانت في إيرلندا.

ولعل أبرز صورة للإرهاب الأوروبي تمثلت في غزو القارة الأمريكية، حيث تبع الغزو حروب إبادة وتشريد لسكان البلاد الأصليين، الهنود الحمر، أدت إلى شبه انقراضهم، وترافق مع ذلك حملة استرقاق واسعة للشعوب الأفريقية ونقل أعداد كبيرة منهم إلى القارة الأمريكية لاستغلال طاقتهم واستعبادهم، ولا تزال سياسة التمييز العنصري بين البيض الملونين قائمة حتى يومنا هذا، وفي الولايات المتحدة الأمريكية التي تزعم الدفاع عن الديموقراطية وحقوق الإنسان، وتعطي لنفسها حق تصنيف الدول، وقعت بعضها بالإرهاب، وهي تمارس إرهاباً لا إنسانياً من خلال التمييز العنصري.

والوجه الآخر للإرهاب الغربي الأوروبي والأمريكي كان ولا يزال قائماً مع بدء الحركة الاستعمارية التي دمرت بلداناً ونهبت ثروات ولا تزال، ومارست القتل والتشريد، ودراسة تاريخ الاستعمار في أمتنا العربية وبلاد الجنوب الفقيرة تعطينا صورة واضحة عن مقدار العنف الذي استُخدِم ولا يزال ضد الإسلام والعرب وشعوب الجنوب.

وإذا كانت دولة كفرنسا، وهي أقل عدوانية من الولايات

المتحدة الأمريكية ضد الإسلام والعرب، لم تستطع قبول عشرات الفتيات المحجبات في مدارسها فأقامت الأرض ولم تقعدها، واستصدرت لذلك القوانين وأشغلت القضاء، فكيف الحال في أمور أخرى؟ وأية حرية معتقد يتحدثون عنها، وتنص عليها دساتيرهم؟.

ثمَّ ليتأمل العالم في مجريات الأمور في البلقان وفي العدوانية الصربية. وليقل لنا الأمريكان وسواهم لماذا تكديس السلاح والإنفاق السخي على تصنيعه ما داموا لا يؤمنون بالعنف؟ ولماذا يا ترى قوة التدخل السريع الأمريكية إذا كانوا يريدون نشر الديموقراطية وحق تقرير المصير؟.

والولايات المتحدة الأمريكية التي تدق طبول الإرهاب هنا وهناك، فوق أنها تبالغ في الإنفاق على السلاح، وتعتمد التمييز العنصري فإنها مسرح للجرائم والاستخدام غير المشروع للقوة أكثر من أية دولة في العالم كما أنها تستهلك أكبر كمية من المخدرات في العالم.

أورد بول كنيدي التقرير التالي: «ومما يفاقم المشكلة كمية المخدرات التي يستهلكها الأميركيون. فحسب أحد التقديرات: تستهلك الولايات المتحدة، التي يبلغ عدد سكانها ما بين 4% إلى 5% من سكان العالم، 50% من استهلاك الكوكايين العالمي.

. . . وتغذي المخدرات بدورها الجريمة التي يعتبر معدلها أكبر بكثير من أي معدل في العالم المنظور. وبفضل القوة السياسية لمؤسسة البنادق القومية، تتاح الفرصة

للأميركيين لحيازة الأسلحة القاتلة واستعمالها إلى درجة تدهش المراقبين في الخارج. ويقدر أن الأميركيين يمتلكون 60 مليون مسدساً و120 مليون بندقية متنوعة، وهم يقتلون بعضهم البعض بمعدل 19000 كل عام، وأساساً بواسطة البنادق. وتبلغ معدلات جرائم القتل أربعة أو خمسة أضعاف مثيلاتها في أوروبا الغربية، وتبلغ معدلات الاغتصاب سبعة أضعاف معدلاتها في أوروبا الغربية، أما عمليات السرقة بالقوة فتبلغ من أربعة إلى عشرة أضعاف. ويقول الخبراء إن لهذا العنف جذوراً ثقافية، ولا يمكن ببساطة رده إلى الفقر، فمعدل الجريمة المميتة في نيويورك أعلى منه في كلكتا الهندية»[1].

إن الولايات المتحدة الأمريكية التي تمارس التسلط والعدوان على الأمم، وتتبجَّح بتصنيف الدول على أساس تعاطيها مع حقوق الإنسان، باتت حكايتها تطبيقاً للقول المأثور: «طبيب يداوي الناس وهو عليل».

فالولايات المتحدة، كما تدل التقارير والدراسات، فيها أعلى نسبة من المساجين أو من في حكمهم في العالم، وهي تنفق على السجون وحراس السجون أكثر من إنفاقها في قطاعات الإنماء ورعاية الإنسان، هذا في داخل مجتمعهم نفسه.

سأورد فقرات من مقال للأستاذ في جامعة بركلي

---

(1) كنيدي، بول، **الاستعداد للقرن الحادي والعشرين**، ترجمة محمد عبد القادر وغازي مسعود، عمّان، دار الشروق، سنة 1993م، ص376.

(كاليفورنيا)، لويك ڤاكنت Loïc Wacquant. يقول ڤاكنت عن البؤس والجريمة في الولايات المتحدة الأمريكية: «تميَّز التطور الجزائي في الولايات المتحدة أربع ظواهر بارزة: تزايد عدد نزلاء السجون، تزايد عدد الأشخاص الخاضعين للرقابة على هامش نظم الاعتقال، الانتفاخ المذهل للقطاع الجزائي داخل الإدارات الفيديرالية والمحلية، وأخيراً الطغيان العددي المستمر لأصحاب البشرة السوداء داخل هذه السجون... إن العجز عن بناء السجون في شكل يتلاءم مع تدفق أعداد المحكومين أدى إلى تزايد عدد الموقوفين في قاعات الانتظار وفي كواليس السجون بنسبة أكبر من عدد القابعين داخل الزنزانات، تضاعف هذا الصنف أربع مرات في 16 عاماً ليصل إلى نحو أربعة ملايين عام 1995، منهم 3,1 مليون يتمتعون بحرية مشروطة و700 ألف موضوعين تحت الرقابة بشكل بلغ معه عدد الأميركيين الخاضعين للوصاية الجزائية عام 1995 (5,4) ملايين، أي ما يقارب (5) في المئة من الرجال فوق الثامنة عشرة من العمر، وما نسبته واحد إلى خمسة من الرجال السود...

... ومنذ عام 1992 تخصص أربع ولايات أكثر من مليار دولار لمصاريف السجون: كاليفورنيا (3,2 مليار)، ولاية نيويورك (2,1 مليار)، تكساس (1,3 مليار)، وفلوريدا (1,1 مليار) والواقع أن أرقام مكتب الإحصاء تفيد بأن النشاط الحكومي الذي عرف أكبر نسبة زيادة خلال الأعوام العشرة المنصرمة كان قطاع إعداد حراس السجون وتشغيلهم... وواقع الأمر أن الولايات المتحدة قد اختارت أن تبني لفقرائها بيوت اعتقال وعقاب بدل المستوصفات

ودور الحضانة والمدارس...»[1].

ويكمل ڤاكنت مبيناً الواقع المزري في الولايات المتحدة الأمريكية فيقول: «تقدم الحاكم بيت ويلسون عام 1995 بمشروع موازنة يلحظ فيه إلغاء ألف وظيفة في التعليم العالي من أجل تمويل ثلاثة آلاف وظيفة حارس سجن جديدة. إن هذه المفاضلة مكلفة جداً على الأموال العامة في كاليفورنيا إذا ما عرفنا أن حارس السجن يتقاضى راتباً يزيد بنسبة 30 في المئة عن راتب الأستاذ المحاضر، وذلك بسبب النفوذ السياسي الذي تتمتع به نقابة موظفي السجون»[2].

وعن التمييز العنصري في الولايات المتحدة الأمريكية حتى في موضوع المساجين، يضيف ڤاكنت قائلاً: «عام 1995، ومن بين 22 مليون أسود راشد كان يمكن إحصاء 767 ألف سجين، 999 ألفاً تحت الرقابة، و325 ألفاً آخرين يتمتعون بحرية الجرائم والجنح، إنها تكشف في الواقع الطابع التمييزي العميق للمارسات البوليسية والقضائية والجزائية»[3].

إن هذه المقالة لڤاكنت تبين مدى انتشار الجريمة في مجتمع الولايات المتحدة وتعرِّفنا على أن أمريكا وقادتها الذين يتبجحون بالإعلان عن حقوق الإنسان، يعتمدون التمييز بين مواطنيهم البيض والملونين حتى في العقوبات

---

(1) (2) (3) ڤاكنت، لويك، **البؤس والجريمة في الولايات المتحدة الأمريكية**، في: ملحق جريدة النهار الشهري، تموز، 1998، ص21، 22.

والسجون، ولست أدري أين حضارتهم وحارس السجن يتقاضى راتباً يفوق راتب الأستاذ الجامعي؟

إن مجتمع الولايات المتحدة الأمريكية تنتشر فيه الجريمة بكل أشكالها، والأمن الاجتماعي غير متوافر فيه بسبب انتشار الأسلحة والمخدرات وأنواع الرذائل، وآخر ما حصل على هذا الصعيد ظاهرة العنف في المدارس والتي شكلت حالة ليس لها ما يماثلها في العالم كله.

لقد وصلت جرائم القتل واستخدام الأسلحة وحوادث السرقة والاغتصاب إلى المدارس، وقد تناولت وسائل الإعلام هذه الأنباء المقلقة للأمريكيين. و«مع إطلاق تلميذين النار في مدرسة جونسبورو في ولاية أركنسا في جنوب الولايات المتحدة، وقتل خمس صغيرات ومعلمة فيها، تنتشر ظاهرة العنف في بعض المدارس الأميركية، وهو أمر بات يشكل أحد أبرز هواجس المدرسين والتلاميذ وذويهم. ففي الأعوام العشرين الأخيرة تزايد عدد قاعات الدروس وباحات المدارس التي باتت مسرحاً يومياً للاتجار بالمخدرات وأعمال العنف من اعتداءات وتصفية حسابات، ومعظمها يتم بواسطة أسلحة نارية.

ولاحظ الخبير في علم دراسة الجرائم رونالد واينر من الجامعة الأميركية، أن وتيرة العنف لدى الشباب زادت إلى درجة كبيرة بسبب ثقافة الأسلحة النارية وغلبة عقلية مستوحاة من قانون الشارع. وأظهرت دراسة كشف البيت الأبيض عنها... أن واحدة من كل عشر مدارس رسمية أميركية

شهدت أعمال عنف خطيرة عام 1997 بينها اغتصابات أو اعتداءات بالأسلحة. وجاء في الدراسة التي أجرتها وزارة التربية أن المدارس الرسمية 1200 في الولايات الأميركية الخمسين شهدت 11 ألف اعتداء بالأسلحة، وسبعة آلاف سرقة وأربعة آلاف اغتصاب أو اعتداء جنسي عام 1997... وأطلق كلينتون منذ وصوله إلى البيت الأبيض عام 1992 مبادرات عدة للحد من العنف المدرسي منها مكافحة المخدرات، وحملة لفرض الزي الموحد الإلزامي في المدارس الرسمية.

وبادر عدد كبير من المدارس في أنحاء الولايات إلى إجراءات محلية تبدأ بالاستعانة برجال شرطة لحفظ الأمن في بعض المدارس وصولاً إلى تشكيل مجموعات من الشباب مكلفة حل المشكلات في ساحات المدارس سلمياً»[1].

هذا حال المؤسسات التربوية، فكيف يا ترى ستكون الحال عندهم في أماكن اللهو أو الحانات، أو سواها من المواقع التي تفتح الشهية للإجرام؟

إن مجتمع الغرب عموماً ومجتمع الولايات المتحدة الأمريكية خصوصاً، يعيش حالة تصارع خطيرة نتيجة سيطرة الماديات، وإهمال القيم الخلقية والإنسانية، ومدنيتهم التي وصلت إلى ما وصلت إليه في عالم الآلة ترافق معها تراجع مخيف في الجانب الإنساني، وما أوردناه سابقاً يشكل بياناً واضحاً عن البؤس الذي يعيشونه.

---

(1) **جريدة النهار**، بيروت، الخميس في 26/ 3/ 1998.

وقد دخلت منظمة الصحة العالمية على الخط مؤخراً عندما دقت ناقوس الخطر محذرة من واقع مأساوي في الغرب تعيشه مواقع العمل، حيث الاعتداء على العاملين متعدد ومتنوع.

والمعلوم أن منظمة الصحة العالمية حذَّرت «من أن العنف في مكان العمل صار خطراً يتربص بالموظفين في مختلف أرجاء العالم مشيرة إلى أن النساء أكثر عرضة لهذه الظاهرة من الرجال.

وأظهر مسح للمنظمة، ومقرها جنيف، أن دولاً غربية تشمل كلاً من الولايات المتحدة وفرنسا وبريطانيا وكندا تتصدر قائمة حوادث العنف في مكان العمل والتي تتراوح بين العراك والتهجم مروراً بالتحرش الجنسي والاستبداد وقد تصل إلى القتل.

وتحتل فرنسا المرتبة الأولى في حوادث التحرش الجنسي الذي تتعرض له عشرون في المئة من العاملات، أما الولايات المتحدة فقد سجلت الرقم القياسي في عدد جرائم القتل في مكان العمل، وأظهر المسح أن نحو ألف أميركي يُقتلون في مكان العمل سنوياً، وأن 18 ألف شخص يتعرضون للهجوم كل أسبوع أثناء العمل سواء في المكتب أو أثناء أداء مهمة خارجية، مما يكلف الولايات المتحدة حوالي أربعة مليارات دولار سنوياً»[1].

إن هذا غيض من فيض وجزء من كل، فعالم الغرب

---

(1) جريدة السفير، بيروت، الأربعاء في 22/ 7/ 1998.

وأميركا يعيش حالة تدهور خطيرة، وانحلال مخيف، وما حديثهم عن حقوق الإنسان والتجاوزات في غير مجتمعهم إلا شكل من أشكال الهروب إلى الأمام يعملون من خلاله لإخفاء الحقيقة، وستر ما تعانيه مجتمعاتهم وتضليل الدارس أو المراقب من أبناء مجتمعاتهم أو سواه كي لا يعرف الناس عندهم، أو في الخارج، ما آلت إليه أوضاعهم من سوء وعنف وفوضى وإرهاب.

ونختم هذه النقطة بجريمة أوروبا وأمريكا في تصنيع المنظمة الصهيونية واغتصاب فلسطين وسائر الأراضي العربية، وذلك الدعم السخي الأميركي/ الأوروبي لإسرائيل التي تغتصب الأرض والمقدسات وتمارس الإرهاب والقتل وتقوم بالمجازر هنا وهناك، وبعدها يتحدثون عن حقوق الإنسان، وهل الديموقراطية تكون بالاغتصاب والمجازر والعدوان والعنصرية أو بدعمها؟.

الفكر الأميركي والعداء للإسلام

لقد ورثت الولايات المتحدة الأميركية التركة الأوروبية الحضارية التي تضرب جذورها في اتجاهين:

أ ـ العداء للإسلام الذي تأسس منذ القرن الحادي عشر الميلادي، وحروب الفرنجة التي سميت الحروب الصليبية وما تبع ذلك من افتراءات وحروب ثقافية لم ترع حرمة للإسلام أو المسلمين ولا للعرب عموماً بمن فيهم المسيحيين من الكنائس الشرقية.

ب ـ الاتجاه المادي الذي يستمد آليته من فلسفة اليونان القدماء التي لا تبالي بشيء سوى الأرقام والكميات والماديات.

وأوروبا وملحقها أمريكا لا تزال تخاصم الإسلام غير آبهة بما صدر عن المجمع الفاتيكاني الثاني عام 1965 وفيه: «وتنظر الكنيسة أيضاً بتقدير إلى المسلمين الذين يعبدون الله الواحد، الحيّ القيوم، الرحمن القدير الذي خلق السماء والأرض... ولئن كان قد وقع، في غضون الزمن، كثير من

المنازعات والعداوات بين المسيحيين والمسلمين، فإن المجمع يحرِّضهم جميعاً على نسيان الماضي، والعمل باجتهاد صادق في سبيل التفاهم في ما بينهم، وأن يحموا ويعزِّزوا كلُّهم معاً، من أجل جميع الناس، العدالة الاجتماعية، والقيم الروحية، والسلام والحرية»[1].

لم ينهِ هذا القرار الإشكالية، بل بقي الغرب (أوروبا وأمريكا) على حالة العداء، وإن كانت قد تراجعت حدَّتها في أوروبا نسبياً لتقوى، بشكل عداء سافر، في أمريكا. ومن الظواهر في أوروبا مقاومة الإدارة الفرنسية لمئات الطالبات المسلمات المحجبات ومنعهن من دخول المدارس وهن يرتدين الحجاب، والظاهرة الأخرى هي تبني بريطانيا لسلمان رشدي إن لجهة نشر كتاباته التي تتحدى المسلمين والإسلام، أو لجهة حمايته وتعهد حماته، ومن الظواهر كذلك قرار البرلمان الأوروبي في ستراسبورغ عام 1994 القاضي بمنح جائزة سخاروف الأوروبية الرفيعة إلى نسرين تسليمة، المرتدة، والمتعصبة ضد الإسلام. هذا في أوروبا ذات الغالبية السكانية الكاثوليكية، فكيف الحال في الولايات المتحدة الأميركية حيث أغلبية السكان من البروتستانت، هذا مع المؤثرات الصهيونية في صناعة الرأي العام الأمريكي؟

---

(1) **المجمع الفاتيكاني الثاني**، أشرف على الترجمة وقام بقسم منها الأب حنا الفاخوري، بيروت، منشورات المكتبة البوليسية، ط1، سنة 1992، ص629.

بعد سقوط الاتحاد السوفياتي السابق وانهيار المعسكر الشيوعي، حيث انتهت الحرب الباردة التي كان يرى الأمريكان والأوروبيون خلالها أن المسلمين والعرب يشكلون سداً في وجه الشيوعية، صرح أكثر من سياسي أمريكي بأن الليبرالية الغربية بقي في وجهها الإسلام كي تسود، وبالتالي لا بدَّ من محاربته، وبدأت تسمع عن خصام أو حوار يطرحونه بين الإسلام والغرب، ووقع بعض أهل الرأي في بلادنا ضحية مفاهيمهم، فالسؤال المطروح هو: الحوار مع أي غرب؟ فالغرب مجموعة شعوب وأمم وقوميات. وإذا كانوا يريدون بكلامهم الحوار الإسلامي ـ المسيحي، فالرد عليهم أنَّ لا أمريكا ولا المجتمع المدني الغربي يمثل المسيحية حتى يحاور باسمها، فالحوار يكون بين متقابلين، والطرح يهدف إلى التعمية، وستر الحقائق.

إن الولايات المتحدة الأمريكية تسعى إلى التسلط على الشعوب باسم الكونية والنظام العالمي الجديد، ولذلك تعمل لإلغاء كل منظومة فكرية غير الليبرالية الغربية، وإذا كان السياسيون الأمريكان قد جاهروا بعدائهم للإسلام والمسلمين فإن بعض المفكرين الأمريكان قد ذهبوا أبعد من ذلك حيث عدوا سقوط المعسكر الشيوعي نهاية المطاف والتاريخ، وأن الكل قد ولَّى ولم تبقَ سوى الليبرالية الغربية، وهذه الأطروحة التي كتبها فرانسيس فوكوياما في كتابه المعنون بعنوان: «نهاية التاريخ» تشكل أكبر إرهاب فكري عرفته الأمم، حيث يطرح فوكوياما، بكل وقاحة، أن ليبرالية

الغرب قد سادت ومعها تكرست السيادة لها، وهذه نهاية تاريخ التعدد الحضاري.

إن فوكوياما الذي يبشر بهذه المقولة يقول: «ويبدو لي - أخيراً - الجنس البشري كما لو كان قطاراً طويلاً من العربات الخشبية التي تجرها الجياد متجهاً إلى مدينة بعينها عبر طريق طويل في قلب الصحراء، بعض هذه العربات قد حددت وجهتها بدقة ووصلت إليها بأسرع وقت ممكن، والبعض الآخر تعرض لهجوم من الآباش «الهنود الحمر»، فضلّ الطريق، والبعض الثالث أنهكته الرحلة الطويلة فقرر اختيار مكان وسط الصحراء للإقامة فيه، وتنازل عن فكرة الوصول إلى المدينة، بينما من ضلوا الطريق راحوا يبحثون عن طريق بديلة للوصول إلى المدينة، وفي النهاية يجد الجميع أنفسهم مجبرين على استعمال نفس الطريق - ولو عبر طرق فرعية مختلفة - للوصول إلى غايتهم، وفعلاً تصل أغلب هذه العربات إلى المدينة في النهاية، وهذه العربات عندما تصل لا تختلف عن بعضها البعض إلا في شيء واحد وهو توقيت وصولها إلى المدينة، سرعة أو بطء وصولها إلى الديمقراطية الليبرالية، ومن ثمّ نهاية رحلتها الطويلة، نهاية التاريخ»[1].

أين الديموقراطية في تبعية يطلبها فوكوياما، وفي آحادية فكرية ليبرالية غربية يطلب لها الساحة وحيدة لتلغي كل شريعة أو فكر ما سواها؟! إن عقلية الاستعلاء والنهج التعصبي

---

(1) فوكوياما، فرانسيس، **نهاية التاريخ**، ترجمة وتعليق الدكتور حسين الشيخ، بيروت، دار العلوم العربية، ط1، سنة 1413هـ - 1993م، ص278، 279.

أوصلا فوكوياما وأمثاله إلى هذه الأفكار الخطيرة التي يتحدُّون من خلالها الحضارات والشعوب، ويزعمون من خلالها أن الحل في سيادة مشروعهم المثقل بأعباء المادة والفساد وقهر الإنسان والقضاء على سعادته.

إن فوكوياما الذي يبشِّر بنهاية للتاريخ مع سقوط المعسكر الشيوعي يجاهر بالعداء للإسلام زاعماً أن الإسلام ضد التحرر والديمقراطية، وأن الغرب عليه أن يخترق بليبراليته العالم الإسلامي، لأن الإسلام، حسب زعمه، يعطِّل الديمقراطية ويقيِّدها. ويطرح هذا الأمريكي العنصري، الذي يمثل واحدة من صور العداء البشعة ضد الإسلام، فكرته هذه في كتابه قائلاً، بكل وقاحة وعدوانية: «قد هَزم الإسلام في الواقع الديمقراطية الحرة في أجزاء كثيرة من العالم الإسلامي موجهاً تهديداً خطراً للممارسات التحررية حتى في البلاد التي لا تمثل قوة سياسية ذات بال. وقد شهدت نهاية الحرب الباردة في أوروبا تحدياً سافراً للغرب من العراق الذي يشكل الدين الإسلامي عاملاً هاماً في تكوينه الأيديولوجي. وعلى الرغم من الحديث عن جاذبية الإسلام العالمية، إلا أنه تبقى الحقيقة الواضحة والأكيدة وهي أن هذا الدين ليس له أي جاذبية خارج المناطق ذات الثقافة الإسلامية، فقد انتهت أيام الغزوات الثقافية الإسلامية، وقد يكسب الإسلام أحياناً أتباعاً ساخطين على أوضاع معينة، لكن لا رنين له لدى الشباب في برلين أو طوكيو أو موسكو مثلاً. وبينما يوجد حوالي بليون من البشر ذوي ثقافة إسلامية ـ أي حوالي خمس سكان العالم ـ إلا أنهم لا يستطيعون تحدي

الديمقراطية الحرة الموجودة في بلادهم على المستوى الفكري أو النظري. وفي الواقع، فالواضح أنه بات ممكناً اختراق العالم الإسلامي ـ على المدى الطويل ـ بالأفكار التحررية، لأن مثل هذه الأفكار قد جذبت العديد من المسلمين الأقوياء خلال القرن والنصف الماضيين، ويبدو أنه من أسباب إحياء الأصولية الإسلامية التهديد الذي أحست به هذه المجتمعات الإسلامية التقليدية بسبب اختراقها بالقيم والأفكار الغربية التحررية»[1].

إن هذه المقولات التي طرحها فوكوياما تطرح مزيجاً من الأفكار العنصرية دون منهج، فلقد لخص العالم العربي والإسلامي كله بتصرفات ساسة العراق، وإذا كان حكام العراق الحاليون قد فعلوا ما فعلوه، فما علاقة شعب العراق؟ ثم ما علاقة المليار والربع المليار من المسلمين في العالم بما فعله حاكم العراق؟.

والإسلام الذي حرر الشعوب من الشرك والوثنية، ومن الاستبداد والظلم ونشر العدل حيث انتشر، لا يحتاج لشهادة من حاقد مثل فوكوياما، وهل قادته الأمريكيون الذي ينهبون ثروات الشعوب ويتحدُّونها، ويدعمون الاحتلال الإسرائيلي لأرض العرب ومقدساتهم، تحرريون أم استعماريون؟! ثم ما أدلة فوكوياما على أن الإسلام فقد جاذبيته؟ وكيف يحكم على واقع المجتمعات في بلاد كثيرة دون برهان؟ أين الموضوعية في أحكامه؟ ثم من قال له إن المسلمين

---

(1) فوكوياما، فرانسيس، م.س، ص61، 62.

أصوليون؟ وأن الأقوياء منهم غادروا إسلامهم ليأخذوا بالفكر الغربي؟ كلها افتراءات وأضاليل جاءت تعبر عن أحلام العنصرية الأميركية من خلال أضغاث أحلام فوكوياما ليس إلاّ.

وفوكوياما الذي حكم بأن كل الشعوب تسير باتجاه الليبرالية الغربية عاد ليقول بأن العالم الإسلامي لم يسر في هذا الركب حيث يقول: «وحتى الآن، فيما عدا العالم الإسلامي، يبدو أن هناك اتفاقاً عاماً على قبول الديموقراطية الحرة كأكثر أشكال الحكم عقلانية»[1]. وفي هذا القول، إضافة إلى تناقضه مع ذاته، نرى فوكوياما وقد واصل عداءه للإسلام والمسلمين حيث عدَّ ديمقراطية الغرب نظام حكم عقلاني، وكأنه بذلك يتهم الإسلام والمسلمين باللاعقلانية، وكلامه هذا هذيان لا أظن أن الإسلام، الذي أعلى من شأن العقل، بحاجة لمن يدافع عنه في هذا الباب.

وفوكوياما الذي يعدُّ الدين عقبة في وجه التقدم والحرية والديمقراطية نراه قد اعتمد موقفاً دينياً حيث طالب بالأخذ بالبروتستانتية وبتسييس الدين، وبالعلمنة، فانتهى به المطاف إلى الإشادة بالنظام التركي العلماني والأطلسي الطابع سياسياً وعسكرياً، وإشادته هذه اقترنت كالعادة بموقف عدواني ضد الإسلام حيث اعتبر الخلاص من الإسلام سبيلاً إلى الديموقراطية، وهذا موقف تجاوز منهج الحروب الصليبية.

يقول فوكوياما العنصري: «ولكن الدين في حد ذاته لا

(1) فوكوياما، فرانسيس، م.س، ص239.

يخلق مجتمعات حرَّة؛ فالمسيحية بمعنى معين كان عليها أن تمحو وجودها من خلال علمنة أهدافها قبل أن تظهر الحرية. المثل العام المقبول لهذه العلمنة في الغرب كان المذهب البروتستانتي، فعن طريق جعل الدين شيئاً خاصاً بين المسيحي وربه، استبعدت البروتستانتية الحاجة إلى طبقة منفصلة من الكهنة، وبصفة أكثر عمومية تحويل الدين إلى سياسة... وربما ليس من المدهش أن تركيا هي الديموقراطية الحرة الوحيدة في العالم الإسلامي المعاصر، إذ أنها كانت الدولة الوحيدة التي نفضت عن نفسها إرثها الإسلامي، وهي في سبيل إقامة مجتمع علماني في فترة مبكرة من القرن العشرين»[1].

إن الحركة العلمية العربية في العصر العباسي وفي الأندلس وسواهما التي بعثها الإسلام ورعاها وحضَّ عليها، وما قدمته للبشرية من ابتكارات في ميادين المعرفة كافة، ترد على افتراءات فوكوياما، وعلمنة تركيا وتبعيتها للأمريكيين وللغرب لم تفدها بشيء، ولا صنعت فيها التقدم والازدهار، ولا أرست فيها أسس حياة ديموقراطية سليمة. والبروتستانتية، عند هذا العنصري فوكوياما، حملت أمريكا على تبني المشروع الصهيوني الغاصب لأرض الآخرين، وكذلك في ظل البروتستانتية تصنع أمريكا الفتن في بلاد الآخرين، وتنشر أسلحة الدمار الشامل، وفي ظل العلمنة تفككت الأسرة في الغرب وفي

---

(1) فوكوياما، فرانسيس، م.س، ص245.

أمريكا، وأصبح الإنسان عبداً للماديات والأرقام، فأين التحرر يا ترى؟ وفي ظل العلمنة قامت المذابح في إيرلندا ولم تنتهِ، ويقوم التمييز العنصري داخل المجتمع الأمريكي نفسه ولم ينتهِ.

إن المنهج العدائي للإسلام الذي تعتمده السياسة الأميركية، حيث تتصور القيادة الأميركية، وقسم كبير من القيادة الغربية أن الإسلام هو العقبة في طريق الكوكبة أو العولمة التي يسعون لها ليسود فكرهم الليبرالي كما يزعمون، هذا المنهج الذي ترجمه فوكوياما عمد إلى تبنيه بأسلوب مختلف كاتب آخر هو صامويل هنتنجتون في كتابه «صدام الحضارات».

إن هنتنجتون يرى بأن الصدام حاصل لا محالة بين فكرهم الغربي الليبرالي المادي ومشروعهم السياسي الاستعماري لقهر الشعوب، وبين الإسلام وثقافة شرق آسيا متمثلة بالحضارة الصينية الكونفوشيوسية.

وهنتنجتون يرى أن النفط لعب دوراً في تنشيط الحركة الإسلامية، ولذلك يكون تخفيض أسعار النفط هو الإجراء الغربي الطبيعي لمواجهة الإحياء الإسلامي الدعوي، والذي هو أبعد من حركات المتطرفين ومجموعات من يسمون أصوليين. ويقول صراحة ما يلي: «الحكومات السعودية والليبية وغيرها استخدمت ثرواتها النفطية لاستثارة وتمويل عملية الإحياء الإسلامي، والثروة الإسلامية أدَّت بالمسلمين إلى أن يتحولوا بسرعة عن الافتتان بالثقافة الغربية العميق في

ثقافتهم، والاستعداد لتوكيد مكانة وأهمية الإسلام في الدول غير الإسلامية. ومثلما كان يُنظر في السابق إلى الثروة الغربية كدليل على تفوق ثقافة الغرب، أصبح يُنظر إلى الثروة النفطية كدليل على تفوق الإسلام. الزخم الذي صنعه الارتفاع الشديد في أسعار النفط هبط في الثمانينات، ولكن النمو السكاني كان قوة دافعة باستمرار»[1].

إن هنتنجتون يتحدث عن مصدرين من مصادر قوة المجتمعات العربية والإسلامية هما: الثروة البشرية، والثروة النفطية المالية. هذا التحليل هو الذي دفع الأميركيين إلى دفع الأمور في الخليج العربي بالاتجاه الذي وصلت إليه، والذي بدَّد قسطاً كبيراً من الثروة العربية مما لا مجال للتفصيل فيه هنا، ومن جهة أخرى اندفعوا باتجاه التدخل في شؤون الأسر عندما عقدوا مؤتمرات للسكان كان هدفهم فيها محاربة التنمية البشرية في العالم الثالث وفي قلبه العالم العربي، وكلام هنتنجتون، الذي مرَّ سابقاً، دليل على هذا التدخل.

ويضيف بشكل جلي معلناً نظرة الغرب للإسلام فيقول: «المشكلة المهمة بالنسبة للغرب ليست الأصولية الإسلامية بل الإسلام: فهو حضارة مختلفة، شعبها مقتنع بتفوق ثقافته وهاجسه ضآلة قوته»[2].

---

(1) هنتنجتون، صامويل، **صدام الحضارات**، ترجمة طلعت الشايب، تقديم د. صلاح منصور، القاهرة، دار سطور، سنة 1998، ص192.

(2) هنتنجتون، صامويل، م.س، ص352.

إن هذا الغرب الذي تقوده أميركا هذه الأيام يرى في الإسلام عدواً بعد سقوط المعسكر الشيوعي، وكي يمسك بزمام الأمور، ومقدرات الشعوب لا يرى سبيلاً للوصول إلى ذلك سوى تحقيق التفوق، وباب ذلك وعماده الوضع الإقتصادي، ولهذه الغاية تسعى أميركا كي تضعف القدرات الإقتصادية لدول الجنوب، وبشكل خاص العالم العربي، وشرق آسيا والدول الإسلامية عموماً.

يقول هنتنجتون: «الغرب يحاول وسوف يواصل محاولاته للحفاظ على وضعه المتفوق، والدفاع عن مصالحه بتعريفها على أنها مصالح المجتمع العالمي، وقد أصبحت هذه العبارة هي التسمية المهذبة لما كان يطلق عليه العالم الحر، وذلك لإضفاء شرعية كونية على الأعمال الي تعبِّر عن مصالح الولايات المتحدة والقوى الغربية الأخرى. فالغرب مثلاً يحاول أن يجمع اقتصاد المجتمعات غير الغربية في نظام اقتصادي عالمي يسيطر عليه، وعن طريق صندوق النقد الدولي «IMF» والمؤسسات الاقتصادية الدولية الأخرى ينمي الغرب مصالحه الاقتصادية ويفرض على الدول الأخرى السياسات الاقتصادية التي يراها ملائمة»[1].

بعد هذا البيان عن مشروع أمريكا والغرب الذي يهدف للسيطرة على اقتصاد الشعوب والأمم، والتحكم بمصير الأمم الاقتصادي وفق ما يلائم مصالحهم، هل يبقى لأحد حجة يتذرع بها ليبرر لأمريكا والغرب ما يفعلون؟

---

(1) هنتنجتون، صامويل، م.س، ص294.

ولأن صدام الحضارات حتمي، حسب زعم صامويل هنتنجتون، فإن الغرب (أمريكا منه) المادي متصادم مع الإسلام والصين، لا بل الأمر في العلاقة يقوم على العدائية، والغرب وأمريكا خاصة تقوم عندهم المساعي لكسب المعركة لصالح نظمهم المادية الليبرالية ولا يرون سبيلاً لتعايش الحضارات أو للاعتراف بسواهم، بل الإلغاء هو هدفهم، والتحدي واقع لا محالة. وفي هذا يقول: «بالنسبة لحضارات التحدي من المرجح أن تكون علاقات الغرب بالإسلام والصين متوترة على نحو ثابت وعدائية جداً في معظم الأحوال»[1].

وتمادى قادة الولايات المتحدة الأميركية أكثر فأكثر حين استباحوا حرمات الشعوب والأمم وخصوصياتها، ونصبوا أنفسهم، دون مسوِّغ أو حقٍّ حراساً لحقوق الناس في غير بلدانهم، وهذا تسلط وإرهاب، واستخدام للقوة والعنف غير مشروع هدفه السيطرة وسلب حرية الشعوب، والتدخل في الشؤون الداخلية للدول، وقد برز ذلك في المشروع الأمريكي الذي طرحوه على هيئاتهم التشريعية وجُمِّد مرحلياً وعنوانه: «قانون التحرر من الاضطهاد الديني». وفي مشروع القانون هذا ينصون في المقدمة على أن الغاية منه هي: «تأسيس دائرة ضبط الاضطهاد الديني، ودعم فرض العقوبات على البلدان المتورطة في الاضطهاد الديني إلى جانب غايات أخرى».

---

(1) هنتنجتون، صامويل، م.س، ص295.

وفي التطبيق والهدف يقولون: «هذه المذكرة تنطبق على كل الجماعات الدينية وجميع البلدان المشار إليها في القرارات الثلاثة التي صدرت عن مجلس الكونغرس المئة والأربعين. . . أما البلدان فهي الصين وفيتنام والسودان وكوبا والمغرب والمملكة العربية السعودية وباكستان وكوريا الشمالية وأندونيسيا ومصر ولاوس».

والسؤال هنا: من الذي أعطاهم الحق بهذا التصنيف؟ وما مبرر تدخلهم في شؤون غيرهم؟ ثم لماذا أغفلوا دولة مثل دولة الصرب، وما تمارسه معروف؟ ثم لماذا لم يوردوا اسم الولايات المتحدة نفسها وفيها أكبر عنصرية؟ إنها تلك المتمثلة بالتمييز بين البيض والملونين؟ هذا قليل من كثير، وكله يبين الانحياز الأميركي ضد دول الجنوب وفي مقدمهم الدول العربية والإسلامية ودول آسيا وأفريقيا.

الباب الثاني

1 ـ التطرف وموقف الإسلام منه

2 ـ الإسلام والوسطية

3 ـ الإسلام والسلام واستخدام القوة

4 ـ سماحة الإسلام والعلاقات مع المسيحيين



التطرف وموقف الإسلام منه

لقد عرف التاريخ الإسلامي ظواهر متطرفة أدَّت إلى استخدام العنف والإرهاب، وهذا ليس أمراً مستغرباً، فالإنسان هو الإنسان والكل من آدم، وكما كان في ولد آدم الأول قابيل الظالم وهابيل الذي تقبل الله تعالى قربانه، كذلك هي الحال مع الناس في مختلف الأزمنة والأمكنة.

إن من أبرز الحركات الإرهابية في التاريخ الإسلامي حركة الخوارج التي برز نشاطها في عهد الخليفة الراشدي الرابع الإمام علي كرم الله وجهه، وحركة الخوارج برزت كي تشاغب على الإمام علي بعد وقعة «صفين» عندما قبل الإمام بالتحكيم بينه وبين معاوية بن أبي سفيان، وأطلق يومها نفر من الناس صرخة قالوا فيها: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾[1]، ورد الإمام علي عليهم بمقولته الشهيرة: «كلمة حق أريد بها باطل». والخوارج كما هو معلوم شهروا سلاح التكفير ضد

(1) سورة الأنعام، الآية 57.

كل من لا يشاركهم موقفهم، وأباحوا لأنفسهم هدر دماء المسلمين من غير نحلتهم، وكان من جملة جرائمهم إرسال من يغتال الإمام علي وقد تمَّ لهم ذلك.

وتوالى بعدها ظهور حركات متطرفة تحت عباءة الدين من القرامطة إلى الحشاشين، إلى متَّبعي المانوية، إلى سائر الغلاة وصولاً إلى يومنا هذا حيث نرى حركات وأفراداً يمارسون الغش الفكري ضد الناس، ويلبسون الحق بالباطل خداعاً وتمويهاً من أجل قيادة نفر من الشباب المنفعل هنا وهناك للقيام بأفعال تحقق أغراض هؤلاء المغرضين أو أغراض أسيادهم.

في الإسلام ذم للتطرف والغلو، لأن الغلو يقود إلى الضلال، هذا ما حلَّ بمن كانوا قبل الإسلام وتعمَّدوا التطرف والغلو، ولهؤلاء، مسلمين وأهل كتاب، جاء النهي عن الغلو في قول الله تعالى: ﴿قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾﴾[1].

فمن قلَّد أصحاب الأهواء من مغالين ومتطرفين يضل، ويسهم في إضلال غيره، لذلك يجب ردعه وتبديل منهجه الخاطىء بدل مساندته.

الإسلام لا يقبل غلواً أو تطرفاً، ومما جاء في النهي عن ذلك حادثة جرت مع النفر الثلاثة الذين زاروا النبيﷺ، فقال له أحدهم: أنا أقوم ولا أنام، وقال الثاني: وأنا أصوم ولا أفطر، وقال الثالث: وأنا لا أتزوج النساء، فما كان من

(1) سورة المائدة، الآية 77.

رسول الله ﷺ إلا أن ردَّ عليهم منكراً أفعالهم المتطرفة المخالفة لسنة الله تعالى في خلقه، وقال لهم عليه الصلاة والسلام: (لكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني)[1].

إن من الناس من ابتلوا بقصر النظر والجهل لذلك نراهم يقفون عند تخوم الحقيقة، ويقنعون بذلك، ووقوفهم هذا عند طرف الأمر الديني تتولد عنه حالات انفعالية بعيدة عن الصواب وتتركهم على حرف هاوية تسقطهم فيها أية عاصفة أو فتنة مهما كان مقدارها. هذا النوع من العابدين هو من يُخشى عليه، هؤلاء الذين يعبدون الله على حرف، ويبقون على جهلهم وتعنتهم، ويغلقون على أنفسهم أبواب التطور الفكري من خلال جمود ظنوه محافظة، ومن خلال تعصب ظنوه تديناً، ومن خلال تطرف حسبوه التزاماً بما أمر به الله تعالى.

جاء في سورة الحج قول الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١١﴾﴾[2].

هذا الصنف يعبد الله مشترطاً أن يأتيه الخير من تدينه، أو أن يكون الشرع موافقاً لأهدافه، وإن لم يكن ذلك يرتد. وقد جاء عند القرطبي: «قال المفسرون: نزلت في أعراب كانوا يقدمون على النبي ﷺ فيسلمون، فإن نالوا رضاء أقاموا، وإن نالتهم شدة ارتدوا.

---

(1) أخرجه البخاري ومسلم وسواهما.

(2) سورة الحج، الآية 11.

. . . وقال ابن زيد وغيره: نزلت في المنافقين. . . ومعنى ﴿عَلَىٰ حَرْفٍۖ﴾: على شك. . . وحقيقته أنه على ضعف في عبادته، كضعف القائم على حرف مضطرب فيه، وحرف كل شيء طرفه وشفيره وحدُّه، ومنه حرف الجبل وهو أعلاه المحدد وقيل: على حرف، أي على وجه واحد. . . وقال الحسن: هو المنافق يعبد الله بلسانه دون قلبه. . . وبالجملة فهذا يعبد الله على حرف ليس داخلاً بكليته. . .»[1].

إن من يعبد الله على حرف تكون له مآرب وغايات يعمل على إخفائها لتنطلي حيلته على الناس، وبذلك يكون غلوه في الدين معبراً كي ينال ثقة الناس لينصروه، فإن لم تنجح خطوته تراه يبدِّل إلى خطوة أخرى. وهذا الإنسان المتطرف المغالي يكون لسلوكه هذا مبررات كثيرة لكن كل مبرراته تجانب الصواب، ولا تكون من باب التدين والالتزام بشرع الله.

إليك أيها القارىء الكريم هذه الصورة عن مبررات الغلو والتطرف التي سطرها الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف السابق المرحوم جاد الحق علي جاد الحق الذي قال: «يكون الغلو في الدين بسبب المبالغة في الاندفاع بقوة دون بصيرة طلباً لنوال أعلى الدرجات في الدين، واحتلال أرفع المنازل، وغالباً ما يوافق هذا الاندفاع حركة متسرعة، واضطراب في الرؤية والفكر، وفساد في تصور الحقيقة.

وقد يكون الغلو في الدين بسبب سوء فهم حقيقة الدين، أو من اجتهادات ذات المغالي، أو من اجتهادات معلمه

(1) القرطبي، م.س، ج12، ص17، 18.

وقائده الذي تلقى منه هذه المغالاة وإدخال الرأي الشخصي في قضايا الدين وأحكامه وشرائعه دون أن يتأهل لذلك بالعلوم والأدوات المناسبة، وقد يكون الغلو في الدين بسبب الرغبة في احتلال مركز الاحترام والتقدير عند العامة الذين قد يرون في الغلو في الدين ارتقاءً في المراتب... ولا يفهمون أن كمال التدين بالتزام حدود الله دون تفريط أو غلو»[1].

ليس من التدين أن يتطرف المرء ويطلق العنان لهواه، أو لهوى أمير جماعته، كما أن التطرف يعطي صورة منفرة عن الإسلام ولا تتناسب مع سماحته، لا بل تسيء أيما إساءة حتى صح أن نعد ظواهر التطرف التي تبرز بين حين وآخر إشكالية تهدد الأمة، وتحول هؤلاء المتطرفين من خلال أساليبهم الإرهابية إلى أدوات بيد الأعداء، يعملون غير عابئين بقيم ولا ضوابط، ولا أمير لهم سوى سادية أين منها سادية نيرون.

وقد أعطى الداعية الشيخ محمد الغزالي صورتين لمخاطر حالات التطرف التي يعتمدها بعض الناس متسترين بالدين فقال: «المصيبة أن بعض المتحدثين في الإسلام لديهم مقدار هائل من قصر النظر وقلة الوعي، والأدهى أن يتحول هذا الفكر السقيم إلى مبدأ تؤلَّف فيه

---

(1) جاد الحق، الإمام جاد الحق علي، النبيﷺ في القرآن، القاهرة، منشورات الأمانة العامة للجنة العليا للدعوة الإسلامية ـ الأزهر الشريف، سنة 1991، ص92، 93.

كتب وتنتهي عليه مواقف»[1].

ويقول في مكان آخر: «رأيت بعض أدعياء التدين فوجدت في ملامحهم جهامة، وهبَّت من شمائلهم ريح منفرة واستطالة على الناس بغير شيء»[2].

ويضيف: «إن هذه العقليات أنزل رتبة من أن تؤتمن على مستقبل شركة مساهمة، فكيف يُتاح لها التحدث عن دين كبير ورسالة أورثت الإنسانية أرقى حضاراتها؟»[3].

إن يقظة دينية بدت مؤشراتها منذ سنوات عدة في مختلف أرجاء العالم هدفها إعادة الاعتبار لإنسانية الإنسان استناداً إلى قيم الإيمان الديني، وهذه اليقظة تشكل رفضاً لقيم الكم والأرقام التي سادت نتيجة مفاهيم مادية، لكن ما يشكل خطراً على يقظة الوعي الإيماني الديني حركات التعصب التي برزت في الوسطين المسيحي الغربي، والإسلامي عامة والعربي منه.

إن حركات التعصب التي تريد إذكاء نارٍ انطفأت منذ ردح من الزمن، نار الفتن الطائفية والحروب على أساس ديني، تحاول اليوم توجيه طاقات أتباعها على نحو سلبي عماده الإرهاب والعنف ضد الآخرين، وإذا كانت هذه الأنماط التعصبية المتطرفة تتنافى مع روح السماحة التي تدعو لها

---

(1) الغزالي، الشيخ محمد، **تراثنا الفكري في ميزان العقل والشرع**، بيروت، دار الشروق، ط1، سنة 1411هـ - 1991م ص71.

(2) الغزالي، الشيخ محمد، م.س، ص71.

(3) الغزالي، الشيخ محمد، م.س، ص53.

رسالات السماء الخالدة فإن من العوامل التي تترك الشباب أسرى لمناهج العنف محاولات الحركات من خلال القادة فيها من أجل تغييب العقل عند أتباعهم وتركهم كالمنوَّم مغناطيسياً يقوم بما يُطلب منه دون تدبُّر.

والخطر الأكبر يأتي من هذه الطاقة المطلقة لأمراء جماعات ومسؤولين لا علم عندهم ولا تقوى في قلوبهم، ولذلك يصنف الدكتور أحمد كمال أبو المجد هذه الطاعة دون تدبر بين أبرز مسببات التطرف ويقول عنها: «الطاعة المطلقة لأمير الجماعة... وقد لا يكون على علم بأحكام الشريعة ومقاصدها، أو دراية بأساليب العمل الجماعي والسياسي... أو تقوى تجعله يتحرج ويحتاط في أمور الدماء والأموال والأعراض.

إن هذه الطاعة المطلقة التي تستند إلى التبعية في المنشط والمكره هي الباب الذي يندفع منه جموع الشباب إلى مصارعها، وإلى إهلاك الحرث والنسل من حولها دون أن تتوقف لتراجع أو تتدبر أو تتساءل»[1].

ولأن المجتمع، في شبكة علاقاته، أشبه بسفينة اشترك في ركوبها أقوام، ونجاتهم أمر مشترك بينهم، لذلك لا يمكن لمجتمع أن يترك العنان للمتطرفين من أصحاب المآرب والأهواء كي يعبثوا بوحدته، وكي يقودوا سفينته إلى خطر الغرق الذي لا يترك أحداً، عن هذا الأمر جاءنا التحذير

---

(1) أبو المجد، الدكتور أحمد كمال، **حوار لا مواجهة**، القاهرة ـ بيروت، دار الشروق، سنة 1408هـ ـ 1988م، ص56.

الإلـــهـــي: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٢٥﴾[1].

إن التطرف الذي لا ينتج سوى الفوضى والهلاك والويلات من أخطر أشكال الفتن، وكي لا تتسع دائرة خطره فتشمل المجتمع كله، من واجب، لا بل من حق، المجتمع مواجهته، ولذلك نقول مع الدكتور أحمد كمال أبو المجد: «إن حق المجتمع في وضع حدٍّ لتطرف المتطرفين ومصادرة نشاطهم يرجع إلى أن التطرف يصل بأصحابه إلى الاصطدام بعديد من القواعد الاجتماعية والقانونية غير القاعدة التي بالغوا في ممارسها والأخذ بها.

فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قاعدة دينية وأخلاقية يستحق أصحابها الثناء. . . ولكن المضي في ممارستها بغير حدود ولا ضوابط من شأنه أن يدفع بهؤلاء الآمرين والناهين إلى الاعتداء على حقوق ليست لهم، وإلى تهديد أمن الأفراد وحرياتهم وحقوقهم»[2].

أختم هذه النقطة بأن التطرف لا يتناسب مع جوهر الدين وسماحته، لذلك لا بد من وضع حد لحركات التطرف ليكون البديل وسطية تقود إلى اللين لا تطرف يؤدي إلى العنف، وفي حديث رسول الله ﷺ: (إن الله تعالى يعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف)[3].

---

(1) سورة الأنفال، الآية 25.

(2) أبو المجد، الدكتور أحمد كمال، **حوار لا مواجهة**، م.س، ص54.

(3) أخرجه البخاري.

الإسلام والوسطية

تنتشر في مجتمعات العرب والمسلمين ظواهر تطرف وغلو وكلُّها تتستَّر بالدين، ويظهر أصحابها أنهم المدافعون دون سواهم عن شرع الله، ولعل من أسباب ذلك ما انتشر في بلادنا من عدوان على القيم، وضرب للأخلاق واستفحال للفساد والانحلال، مما أوقع آخرين تحت تأثير ردة الفعل لمواجهة هذا الغزو الثقافي الوافد.

إن الهجمات الاستعمارية التي قادها الغرب ضد بلادنا، والتي تستكملها ـ اليوم ـ بشكل أساسي الولايات المتحدة الأمريكية أرادوا من خلالها غزو مجتمعاتنا العربية والإسلامية بثقافتهم وقيمهم وتقاليدهم في شتى ميادين الحياة والمجتمع، وقد جندوا لهذه الغاية إمكانات ضخمة تبدأ من وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة مروراً بمراكز البحث والدراسات إلى المدارس والمعاهد والجامعات.

وقد ترك هذا الغزو الثقافي وغير الثقافي آثاره المدمرة في مجتمعاتنا، خاصة عند أهل الرأي وأصحاب المواقع القيادية

المسؤولة في مؤسسات الدولة وبعض مؤسسات المجتمع المدني، وبداعي التقليد تبعهم عدد كبير من الناس فأدى ذلك إلى بروز ظاهرة التغريب والاغتراب.

التغريب وهو الأخذ بعالم أشياء الغرب تحت شعار: «كل إفرنجي برنجي»، وقد برز ذلك في الاستيراد غير المدروس لما عند الغربيين من مدنية وعادات دمَّرت مجتمع الغرب ودليلنا ما نراه من فساد عندهم، وبدت آثاره التدميرية فيما بات ينتشر في بلادنا في أنماط سلوكية يمارسها المتغربنون.

ولقد قاد هذا التغريب إلى الاغتراب حيث ولَّد التغريب مجموعات من الأشخاص في مجتمعاتنا يعيشون بيننا بأجسادهم لكن أفكارهم وقلوبهم ترتع في مجتمع آخر، وتلتزم قيماً دخيلة، مما أنتج انحداراً خطيراً في القيم وفي عالم الأفكار عامة، بعد أن أوجد نظاماً استهلاكياً في عالم الأشياء يقوم على الإسراف والهدر.

هذا الواقع نتجت عنه حالة نقيضة، فمن واقع الانحلال والتهتك والسقوط يريد بعض من وقعوا في ردة الفعل أن ينقلوا المجتمع إلى حالة انغلاق وتزمت وجمود.

تأسيساً على ما تقدم أصبح إنساننا بين ناري المغالين والمتهتكين، وسفينة النجاة هي وسطية دعا إليها الإسلام، واعتدال أمرت به شريعته السمحاء. وإذا كانت مستوردات مدنية الغرب قد انتجت أجيالاً لا يرقى تفكيرها إلى ما فوق عالم الأشياء والمادة والشهوة مما عطل التفكير، وأوقع في حالة فساد باتت تهدد بنية المجتمع في حضارته وقيمه، فإن

الغلو كذلك ـ وهو، عادة، يحصل بعد توتر وانفعال ـ يؤدي إلى شلل التفكير عند أصحابه، والمتطرف الذي شُلَّ تفكيره الموضوعي في حالة الانفعال هذه تبدر منه تصرفات تسيء إلى جوهر الدين الحنيف، ومن أبرز هذه التصرفات غير الموضوعية تركيز المغالين على المظاهر والشكليات وإحلالها بديلاً عن الجوهر وهو الأهم.

المسلمون صنفان: صنف اعتدلوا واستقاموا فالتزموا الإسلام بسماحته فيسر لهم الله تعالى طريق الفلاح، وشرح صدرهم للإسلام، وصنف ضيَّقوا على أنفسهم، وجعلوا حرجاً في الدين على أنفسهم وعلى غيرهم، وتشدَّدوا فنفَّروا ولم يبشِّروا، وعسَّروا ولم ييسِّروا، فغُلبوا على أمرهم ولم يهتدوا إلى سواء السبيل.

هذان الصنفان أبلغتنا عنهما الآية الكريمة: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ كَذَٰلِكَ يَجۡعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ١٢٥﴾[1]. وشرح الصدر بالأنوار الإلهية وبالهداية الربانية أمر ينشده كل مؤمن، وبذلك يكون السبيل بسعة الصدر والحلم الذي يسعف صاحبه على استقبال الأمور بثبات، وعلى تحمل المصاعب بجلد من أجل أن يخرج المرء من أناه إلى الآخرين، وإلا يكون الإنسان ممن يضيِّقون واسعاً وحاله كمن يرتفع في السماء، وكلما ابتعد عن كوكب الأرض واخترق طبقات

---

(1) سورة الأنعام، الآية 125.

الهواء في الفضاء الكوني كلما قلت كمية الأوكسجين اللازمة للتنفس حتى تصل إلى الانعدام، وبذلك يصل هذا المغالي إلى الاختناق.

هؤلاء المغالون يختنقون حقيقة وهم على سطح الأرض، لأن واحدهم يعمد إلى شرنقة ينسجها حول نفسه حتى إذا ما اكتملت مات بداخلها كحال دودة الحرير.

إن الإشكالية عند هؤلاء تبدأ مع تعصبهم لفكرة أو لأمير مجموعتهم أو شيخهم، فتراهم يقيِّدون أنفسهم بما أتاهم من هذا القبيل، ويكتفون برؤية النور من زاوية واحدة. وهذا المنهج الذي يقوم على رؤية الأمور من جانب واحد لا يجعل الصدر ضيِّقاً حرجاً فحسب، وإنما يجعل عند الإنسان ثقافة وفهماً للدين آحادي الجانب، وبذلك يحرم هذا المغالي المتطرف نفسه من تلك الإشراقات الفكرية، ومن الاجتهادات التي توصل إلى شاطىء الأمان.

والمغالون أبلغنا عنهم ربنا سبحانه في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ١١﴾[1]. هذا الإنسان غير متمكن في عقيدته ودينه، وبعيد عن الوسط والاعتدال، ولذلك فهو على طرفٍ سببه شكه أو ضعف إيمانه أو التزام الأهواء والمصالح الخاصة، لذلك فهو على حرف وعلى شفا حفرة فما أن تبرز له فتنة أو

(1) سورة الحج، الآية 11.

غواية حتى تراه يسارع إليها فينقلب إلى النقيض ويقع في الخسران المبين.

ويقف على الضفة الأخرى أولئك المتميزون بإيمان راسخ وهم الأمة الوسط، وفيهم كان قول الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[1].

الوسطية هي سمة أهل الإيمان الحق ومنهاجهم، فوسط الشيء: «أفضله وأعدله... ورجل وسط ووسيط: حسنٌ من ذلك: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾، قال الزجاج: فيه قولان. قال بعضهم: وسطاً عدلاً، وقال بعضهم: خياراً، واللفظان مختلفان والمعنى واحد لأن العدل خير والخير عدل. وقيل في صفة النبيﷺ: إنه كان من أوسط قومه، أي خيارهم، تصف الفاضل النسب بأنه أوسط قومه»[2].

وحول فهم الآية: ﴿أُمَّةً وَسَطًا﴾ جاء عند القرطبي في تفسيره: «الوسط: العدل؛ وأصل هذا أن أحمد الأشياء أوسطها. وروى الترمذي عن أبي سعيد الخدري عن النبيﷺ في قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾، قال: عدلاً. وفي التنزيل قال: أوسطهم، أي أعدلهم... ووسط الوادي: خير موضع فيه وأكثره كلأً وماءً. ولما كان الوسط

(1) سورة البقرة، الآية 143.

(2) ابن منظور، لسان العرب، م6، تحقيق عبد الله بن علي الكبير، محمد أحمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلي، القاهرة، دار المعارف، بدون تاريخ، ص4832، 4833.

مجانباً للغلو والتقصير كان محموداً... وفلان من أوسط قومه؛ أي من خيارهم وأهل الحسب منهم»[1].

هذه الوسطية للأمة هي التي جعلتها خير أمة أخرجت للناس، فالخيرية آتية من سماحة الدعوة، ووسطية المنهج، والعدل في التعامل وإقامة العلاقات.

أما المغالون الذين يظنون أن فعلهم هذا يعطيهم مكانة خاصة، أو يرقى بهم في سلم الالتزام والتدين فإنهم واهمون، وعن الطريق القويم حائرون، فلقد أرشد النبيﷺ الناس جميعاً إلى الاعتدال حتى لا يكونوا مغلوبين على أمرهم، وفي هذا جاء الحديث النبوي الشريف: (إن الدين يسر، ولن يشادَّ الدينَ أحدٌ إلا غلبه، فسدِّدوا وقاربوا وأبشروا)[2].

الأمر في هذا الحديث بأن على المؤمن أن يلزم السداد والتوسط في العمل والسلوك من غير إفراط ولا تفريط، وأن يقارب إن لم يستطع أن يأخذ بالأكمل، ومن كان على هذا المنهج، منهج اليسر والسداد والمقاربة، فإنه مبشَّر بالثواب.

نصل إلى القول: إن التوسط والاعتدال يدلّان على سلامة الالتزام بالإسلام من المؤمن بما يتناسب مع سماحة الدين، والتوسط يولِّد اتزاناً في الأفعال، وثباتاً على المواقف، وصبراً ومثابرة من أجل الوصول إلى الغاية المنشودة.

وفي الجهة المقابلة نرى أن المبالغ المغالي منفعل متوتر،

---

(1) القرطبي، م.س، ج2، ص153، 154.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه.

والأيدي المنفعلة لا تقوى على البناء، وهؤلاء يتصفون بالموسمية، والتزامهم يكون وفق درجة الانفعال عندهم.

وإذا كان التوسط سبيلاً للثبات والاستقامة والبناء، فإن الغلو والتطرف سبيلان للتخريب والفتن. قال أحد الشعراء:

ولا تغلُ في شيءٍ من الأمرِ واقتصِدْ
كِلا طرفي قصْدِ الأمورِ ذَميمُ

فالوسطية هي المنشودة في الأمور كافة، فلا الخنوع مثمر، ولا التهور يقود إلى النجاح، وليس الهروب والانطواء عملاً ناجحاً، ولا التطرف يعطي نتائج إيجابية.

إن المنهج التربوي في الإسلام منهج وسطي يقوم على الاعتدال، وفيه دعوة لتعويد الذات على هذه الوسطية التي تبعد صاحبها عن الغرق في مثالية جوفاء أو في مادية حمقاء. إنه منهج يستلزم التوازن بين الجسد والروح، والتكامل بين العقل والقلب، والعمل للآخرة والدنيا.

الوسطية ضرورة لأن الإنسان: «إذا أقام الجسد دون العقل والروح، اندفع بشهواته يخرب ذاته، ويخرب حياة الآخرين، وإذا أقام العقل والروح دون الجسد عجز أو استأثر للخرافة والجنون»[1].

إن الوسطية تقوم على التوازن في سلوك الفرد دون طغيان جانب على آخر، فالتوازن مطلوب من جهة الاستعداد للآخر

(1) عطا، عبد القادر أحمد، **هذا حلال وهذا حرام**، بيروت، دار إحياء التراث العربي، بدون تاريخ، ص16.

والعمل لتحقيق ما يحتاجه المرء في دنياه، أما المغالون والمتطرفون فقد خالفوا ذلك لهوى أو لمذهب، أو بسبب تضليل شخص لهم جعل غشاوة على أبصارهم فباتوا وكأنهم في حالة تنويم مغناطيسي ينفذون ما ينفذون دونما تعقل أو تبصُّر، وهؤلاء يقفون غالباً عند الشكل ويهتمون به على حساب المضمون ويركزون على المظهر دون الجوهر لذلك نجد المغالي ذا تفكير سطحي، ويكون أفقه ضيقاً لا بل إن اهتمامه الشكلي هذا ينسيه المضمون والحقيقة. وقد صنَّف أبو الفرج ابن الجوزي هذا الفعل بأنه من تلبيس الشيطان، ومن استدراجه لبعض الأشخاص المتنطعين والمتطرفين، وقد وصفهم بقوله: «قد لبَّس إبليس على بعض المصلين في مخارج الحروف فتراه يقول: الحمد، الحمد، فيخرج بإعادة الكلمة عن قانون أدب الصلاة، وتارة يلبِّس عليه في تحقيق التشديد، وتارة في إخراج ضاد المغضوب، ولقد رأيت من يقول المغضوب فيخرج بصاقه مع إخراج الضاد لقوة تشديده وإنما المراد تحقيق الحرف فحسب. وإبليس يخرج هؤلاء بالزيادة على حدِّ التحقيق، ويشغلهم بالمبالغة في الحروف عن فهم التلاوة وكل هذه من وساوس إبليس»[1].

لقد أحسن ابن الجوزي صنعاً في وصفه هذا لحال بعض المتشددين المغالين، والذين نرى أمثالهم في المجالس

(1) ابن الجوزي، أبو الفرج، **تلبيس إبليس**، صححه ووضع حواشيه محمد منير الدمشقي، القاهرة، إدارة المطبعة المنيرية، بدون تاريخ، ص136.

والمساجد، ومنهم من يتشدد في سنَّة على حساب الفرض أو يقدم نافلة على واجب، وهكذا.

والعلة في ذلك كله قلة الإيمان أو المصلحة التي يرمي المغالي تحقيقها من خلال العامة من الناس والضعفاء خاصة، لكل هذا يحصل هذا الخلط والبعد عن الاعتدال والوسطية، «ومن الملاحظ أن كثيراً من المتصدين للدعوة للإسلام يصدرون أحكاماً دينية يحرمون فيها أعمالاً، أو يوجبون فيها أعمالاً، وهذه الأحكام ما أنزل الله بها من سلطان، أنما يتبعون فيها شبهات أدلةٍ أو هوى أنفس، فإما أن يعتمدوا على تفسير خاطىء، أو بحث ناقص، أو حديث ضعيف، أو حديث معارض بحديث آخر، أو معارض بدليل أقوى منه.

... ومن هؤلاء من يتوهم أنه لا بأس بتحريم مكروه، أو إيجاب السنَّة، ويرون هذا التشدد يخدم الدين، والحقيقة أن في هذا العمل تجنِّياً على دين الله، وتعدياً لحدود أحكام الله فيه... وبعض هؤلاء المتشددين يرون العامة يعظمون الذين يغالون في الدين، ويعتقدون أنهم أكثر ورعاً، وأخلص لله، فيمجدونهم ويفضلونهم، ويسمعون منهم فتاواهم لذلك فهم يميلون في فتاواهم إلى التشدد والحكم بأصعب الأقوال عند الفقهاء المجتهدين، ويلجؤون إلى التظاهر بالتورع عن بعض المباحات، رغبة في امتلاك قلوب العامة، والسيطرة على نفوس الذين لا علم لهم بالدين»[1].

(1) الفرفور، الدكتور محمد عبد اللطيف، **الوسطية في الإسلام**، بيروت، دار النفائس، ط1، سنة 1414هـ ـ 1993م، ص120، 121.

هذا هو التصنُّع الذي يمارسه بعضهم مما يصح تسميته: التقوى الكاذبة، ليستر الحقيقة ويلبس الحق بالباطل وهؤلاء يعمدون إلى شكليات يحلونها محل الأمور الأساسية محاولين من خلالها إثبات التزامهم بالإسلام وحرصهم على الدين علماً أن مثل هذا السلوك المتطرِّف يعطي صورة سلبية، ويشوش على الدعوة ويسيء للإسلام الحنيف.

إن الجمود والانغلاق باسم الدين يغذي الجهل والتعصب، ويلصق بالدين ما ليس منه، كما أن الجمود أو التطرف يسيء للدين إساءات لا تقل خطراً عن إساءات أعداء الدين وإن اختلف الجامد عن الجاحد بأن الأول مؤمن.

إن منهج الأمة الوسط الذي طالبنا به الإسلام في كل شأن من العبادات والمعاملات أو وجوه السلوك، هو المنهج المطلوب أن يلتزمه أهل الأمة لوقف التداعيات التي تحصل وأشكال التجارة باسم الدين التي تنتشر هنا وهناك.

الإسلام والسلام واستخدام القوة

الإسلام دين الرحمة، ودعوته تلتزم التوجيه الإلهي في تحقيق التكريم للإنسان، هذا ما جاءت به الآية الكريمة: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ۝٧٠﴾[1]. والنبي ﷺ بُعث رحمة للعالمين، وكلمة «إسلام» تحمل مدلولات السلام والسلم.

إن التحية المتبادلة بين الناس هي: «السلام عليكم»، والمؤمن يوم يلقى ربَّه سبحانه في اليوم الآخر تكون تحيته له سلاماً، ومن أسماء الله الحسنى «السلام»، وليلة القدر بما تحمل من فضل للعابد هي سلام، ومن فاز بالسعادة الأخروية وكان من أصحاب اليمين تكون له تحية من أصحاب اليمين، والجنة هي: «دار السلام». فما من شريعة حملت معاني السلام كما جاء بها الإسلام، وما ذلك إلا من

(1) سورة الإسراء، الآية 70.

أجل تكريم الإنسان، ولتقوم العلاقات بين الأفراد والدول والأمم على أسس السلام القائم على العدل، وإحقاق الحق ضمن حدود المسؤولية العامة.

إن أكذوبة طرحها بعض المغرضين مفادها أن الإسلام دين انتشر بالسيف والإرهاب والقوة هي محض افتراء، وهي من نسيج خيال بعض أهل الأهواء، لأن قراءة التاريخ لا تؤيدها، واستقراء الحوادث والمحطات في تاريخ الدعوة الإسلامية لا يدعمها بدليل، ولو واحد.

وإذا عدنا إلى الانطلاقة، وإلى حال الدعوة في مكة المكرمة في السنوات الأولى للبعثة قبل الهجرة إلى المدينة، نجد أن عدداً من الفرسان وأهل الشوكة قد دخلوا في الإسلام، ولم يكن المسلمون يومها يملكون من الإمكانات ما يؤهلهم حتى مجرد الدفاع عن أنفسهم، وإنما كانوا قلة مستضعفين، والمثل الآخر من بلدان كثيرة في شرقي آسيا وسواها حيث ما يزيد على ثلث مسلمي العالم، وكلهم دخلوا في الإسلام على أيدي الدعاة والتجار، ولم تصل سلطة دولة الخلافة أو الفتوحات إلى تلك البلدان مطلقاً. ومرد ذلك أن الدعوة في الإسلام منهجها الإقناع الحر، والمجادلة بالتي أحسن، والواجب على الداعية أن يبيِّن للناس سبيل الحق، وليس من حقه استخدام أية وسائل تحمل معنى الإكراه أو الضغط، سواء كان ذلك الضغط والإكراه نفسياً أو اجتماعياً أو عسكرياً.

إن اعتماد الإقناع في الدعوة مسألة قررها الشرع من خلال

النصوص القرآنية بشكل لا يقبل نقاشاً ولا جدلاً. يقول الله تعالى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّۚ﴾[1]، ويخاطب الله تعالى نبيهﷺ في سورة الغاشية: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾﴾[2].

ولا يُستخدم القتال أو العنف إلا لرفع ظلم أو لإحقاق حق، أو إذا وقف الأعداء والخصوم حجر عثرة في طريق حرية الدعوة، أو حاولوا منع أمة المؤمنين من تأدية شعائرها، أو من أن توفر المناخ اللازم لعزتها وكرامتها. في مثل هذه الحالات يصبح استخدام القوة ضرورة، وتكون القوة لردع عدوان، أو إزالة عقبة، فإذا ما تحقق ذلك، وأُزيل شر الأعداء وأذاهم، لا يكون هناك مبرر لاستخدام القوة. هذا ما أرشدت إليه الآية الكريمة التي جاء فيها: ﴿فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[3].

علاقات السلام وعدم استخدام العنف تكون مع من لم يبدأوا بقتال ضد المسلمين، لا بل من واجب المسلمين في هذه الحالة أن يقيموا مع أمثال هؤلاء علاقات عمادها العدل والقسط. هذا ما بيَّنته الآية الكريمة: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾﴾[4].

---

(1) سورة البقرة، الآية 256.

(2) سورة الغاشية، الآيتان 21، 22.

(3) سورة البقرة، الآية 193.

(4) سورة الممتحنة، الآية 8.

لكن من نخاف منه خيانة أو عدواناً، أو من مارس احتلال أرضنا ومقدساتنا، وعمل على تهجير وتشريد شعبنا لا بد من مواجهته باستخدام القوة والعنف بمثل ما اعتدى علينا، وأن نرد له الكيل لنسترد حقوقنا المسلوبة، ولنحفظ كرامة الأمة وعزتها، وكي نحافظ على حريتهم وتحرر أوطاننا. لقد كان أمر الله تعالى في ذلك واضحاً في النص القرآني: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ١٩٠﴾[1].

وكذلك الحال تكون في مقاتلة من سالمناه لكننا أحسسنا منه نكوصاً وخيانة للعهد، عندها علينا أن نقاتله كالعدو تماماً بتمام التزاماً بأمر الله تعالى: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ٥٨﴾[2].

هكذا يتبين لنا بأن مشروعية القتال في الإسلام تنبع من مبدأ حق الدفاع: «عن النفس ورد المعتدين وتأمين حدود الدولة الإسلامية. فالإسلام لم يشرِّع القتال لأنه وسيلة لإجبار الناس على اعتناق الإسلام، وإنما شرَّعه لتأديب المعتدين وتقليم أظافر المجرمين وحماية الطرق العامة»[3].

إن القتال في الإسلام له ضوابط وأصول، وهو يكون لرد عدوان، أو لوقف فتنة، أو لمنع فساد من الانتشار. والقتال في مثل هذه الحالات واجب، وقد كُتب على المؤمنين وهو

---

(1) سورة البقرة، الآية 190.

(2) سورة الأنفال، الآية 58.

(3) عبيد، منصور الرفاعي، **الإسلام وموقفه من العنف والتطرف والإرهاب**، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة 1987، ص35، 36.

كره لهم عندما يكون لا بدَّ منه لحماية الأوطان والمقدسات، أو لمنع الظلم وإقامة العدل، لذلك رُبط الأمر الأول للمسلمين بالقتال بأنهم تعرضوا لظلم لا يُمنع إلا بالمواجهة، وبذلك يكون القتال منعاً لهذا الظلم، فقد جاء في سورة الحج: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾[1].

هذا القتال يدخل في باب الجهاد الذي يأمر به الإسلام حال الضرورة، وهو وإن كان عملاً يتصف بالشدَّة ويُستخدم فيه العنف، لكنه استخدام مشروع للقوة والعنف، لأن ذلك لازم لإحقاق الحق، وإثبات العدل، ويدخل في هذا الباب العمل من أجل التحرير وإزالة الاحتلال، كما هي الحال بالنسبة للنضالات وأنواع المقاومة التي يقوم بها شعبنا ضد العدو الإسرائيلي ومشروعه الاحتلالي والتوسعي.

والقتال في الإسلام لا يهدف إلى القتل، والإجهاز على العدو كائناً من كان، وإنما يهدف القتال إلى ردع العدو وإرهابه وإلقاء الرعب في قلبه كي يتراجع عن عدوانه وظلمه، هذا ما بينته الآية الكريمة التي جاء فيها الأمر بالإعداد وامتلاك القوة، قال الله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾﴾[2].

---

(1) سورة الحج، الآية 39.

(2) سورة الأنفال، الآية 60.

إن الإعداد أمر لأمة المؤمنين في كل مكان وزمان، لم يُعفَ منه إنسان، ومن تخلَّف عن الإعداد فهو آثم مخالف لأمر الله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾﴾. أما عن الإعداد المقصود والمتعلق بالجانب المادي فإن الآية الكريمة ورد فيها: ﴿مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾، دون تحديد، وهذا معناه أن القوة بكل أنواعها وأشكالها لازمة ضرورة، وكل آلات الحرب مطلوب الإعداد لها من عسكرية وثقافية واقتصادية وإعلامية ومن مادية ومعنوية... إلخ.

والرباط أيضاً كلمة تتسع لكل ما عرف ويعرف في تحصين الثغور والمداخل التي يمكن أن ينفذ منها الأعداء، والرباط امتلاك قوى الدفاع والمواجهة كافة. والبلاغ القرآني هو أن فائدة هذا الإعداد العام الشامل ليست في صناعة المواقع الحربية فقط، إنما هي، قبل ذلك، وسيلة لإقرار الحق، ومنع الأعداء من التفكير في زلزلته والطغيان عليه: ﴿تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾، «ومن هذا الجانب تكون القوة المادية عاملاً من عوامل السلم تحفظ الحقوق، وتقيها شر الاعتداء، وتنشر على العالم ظلال الأمن والاستقرار. وكما يرشد القرآن إلى القوة المادية من جهة العدد والآلات يرشد أيضاً في دائرة القوة المادية أن تكون الأمة كلها جنداً مدرباً على

السلاح، مدافعاً عن الحوزة»[1].

وفي مثل حال التحديات الحاصلة هذه الأيام على أمتنا، وأخطرها الاحتلال الإسرائيلي ودولته وأطماعه، فإن الأمر يحتِّم استخدام القوة لردع هذا العدوان ولتحرير الأوطان المغتصبة والمقدسات المدنسة في القدس، والعدو يركز على امتلاك القوة ليحقق فكرة «الردع» و«التفوق العسكري المطلق»، وفي هذه الحالة لا تكون مواجهته إلا وفق قاعدة: «ما أُخذ بالقوة لا يُسترد بغير القوة».

لهذه الغاية نصت «اتفاقية مكافحة الإرهاب» التي وقعها وزراء العدل والداخلية العرب في القاهرة في شهر نيسان (أبريل) من عام 1998، وفي مادتها الثانية تحديداً، على أنه لا يصنف إرهاباً العمل الكفاحي لتحرير الأراضي والحقوق المغتصبة. تنص هذه المادة في الفقرة (أ) على ما يلي: «لا تعد جريمة، حالات الكفاح بمختلف الوسائل، بما في ذلك الكفاح المسلح ضد الاحتلال الأجنبي والعدوان من أجل التحرير وتقرير المصير، وفقاً لمبادىء القانون الدولي».

إن يهوداً، الذين جمعوا باسم الصهيونية أتباعهم واحتلوا الأرض وانتهكوا الحرمات والمقدسات، لا تنطبق عليهم عهود الذمة التي تُعطى للكتابيين، وبالتالي لا بديل عن قتالهم وطردهم، ولا سلم معهم.

لقد وجَّه الإمام الأكبر محمود شلتوت نداء يقول فيه:

---

(1) شلتوت، الإمام الأكبر محمود، **من توجيهات الإسلام**، القاهرة ـ بيروت، دار الشروق، ط8، سنة 1407هـ ـ 1987م، ص239.

«أيها المسلمون، أيها العرب: خصومكم الآن حفدة هؤلاء الخائنين؛ أخلاقُهم من أخلاقِهم وكيدُهم من كيدِهم، وإفسادهم من إفسادهم... واليومٍ وقد تكرر منهم النكث والبغي، ولم يرقبوا في عهدكم إلّاً ولا ذمة، وطاولتموهم فأتممتم إليهم عهدهم مع غدرهم المرة بعد الأخرى، أما اليوم وقد كان منهم ما كان، فدونكم ورقابهم، طهِّروا أرض الله من رجسهم، واذكروا أن بيت المقدس وإقليمه في مستوى بيت الله الحرام وإقليمه، ربط الله قلوبكم به، كما ربطها بالبيت الحرام، فصونوا تراثكم، واجمعوا أمركم»[1].

ولأن مقاومة هذا العدو واجبة ولا يصح وقفها تحت ستار سلام زائف يعلل بعض ضعاف النفوس أنفسهم به، وتخدع تحت شعاره إسرائيل وأمريكا بعض البسطاء، فمن المهم أن نتبين بأن السلام لا يكون مع القاتل والمغتصب والمحتل. فالسلام وفق المفهوم الإسلامي له شروطه وأسسه وهي غير متوافرة الآن.

إن العدو يسعى تحت ستار «السلام الزائف» كي يخترق الأمة بالتطبيع في مختلف الميادين، لذلك يفيد في هذا الباب التذكير بالبيان الذي وجَّهه علماء الأزهر الشريف بشأن فلسطين، يوم كان شيخ الأزهر الإمام محمد مأمون الشنّاوي، ومما جاء في هذا البيان ـ النداء:

«يا معشر المسلمين... قُضي الأمر، وتألبت عوامل البغي والطغيان على فلسطين وفيها المسجد الأقصى أولى

---

(1) شلتوت، الإمام الأكبر محمود، م. س، ص305، 306.

القبلتين وثالث الحرمين ومنتهى إسراء خاتم النبيين صلوات الله وسلامه عليه.

قُضي الأمر وتبيَّن لكم أن الباطل ما زال في غلوائه، وأن الهوى ما فتيء على العقول مسيطر، وأن الميثاق الذي زعموه سبيلاً للعدل والإنصاف ما هو إلا تنظيم للظلم والإجحاف، ولم يبقَ بعد اليوم صبر على تلك الهضمة التي يريدون أن يرهقونا بها في بلادنا، وأن يجثموا بها على صدورنا، وأن يمزقوا بها أوصال شعوب وحَّد الله بينها في الدين واللغة والشعور.

إن قرار هيئة الأمم قرار من هيئة لا تملكه، وهو قرار باطل جائر ليس له نصيب من الحق ولا العدالة، ففلسطين مِلْك العرب والمسلمين، بذلوا فيها النفوس الغالية والدماء الزكية، وستبقى إن شاء الله مِلْك العرب والمسلمين رغم تحالف المبطلين، وليس لأحد، كائناً من كان، أن ينازعهم فيها أو يمزقها.

... يا أبناء العروبة والإسلام: خذوا حذركم، فانفروا ثباتٍ وانفروا جميعاً، وإياكم أن يكتب التاريخ أن العرب الأباة الأماجد قد خرُّوا أمام الظلم ساجدين، أو قبلوا الذل صاغرين، إن الخطب جليل، وإن هذا اليوم الفصل وما هو بالهزل فليبذل كل عربي وكل مسلم في أقصى الأرض وأدناها من ذات نفسه وماله ما يردُّ عن الحمى كيد الكائدين وعدوان المعتدين.

سدُّوا عليهم السبل، واقعدوا لهم كل مرصد، وقاطعوهم

في تجارتهم ومعاملاتهم، وأعدوا فيما بينكم كتائب الجهاد، وقوموا بفرض الله عليكم، واعلموا أن الجهاد الآن قد أصبح فرض عين على كل قادر بنفسه أو ماله، وأن من يتخلف عن هذا الواجب فقد باء بغضب من الله وإثم عظيم»[1].

نخلص إلى القول إن مقاومة العدو وإخراجه من حيث أخرج شعبنا واجب، ولا يعد قتال العدو إرهاباً، خاصة وأن العدوان الذي يمارسه العدو الإسرائيلي يمارس الإرهاب بأبشع صوره، ويغتصب الحقوق، والعرب في حالة دفاع لاسترداد حقوقهم. وإذا كانت ظروف دولية ومحلية تفرض أن تكون الحرب سجالاً، فمرة معارك وأخرى هدنة لعدم الاستطاعة في ممارسة الحرب أحياناً، وقد تدخل المفاوضات مرات أخرى، فإن الصراع مع العدو صراع وجود لا ينتهي إلا باسترداد حقوقنا كاملة، وهذا الصراع جهاد مطلوب لا نتوقف كثيراً فيه عند مقولات الإعلام الغربي عن إرهاب عربي يُمارس على يهود فالبادىء أظلم، وليمنعوا عدوانهم علينا كي نتوقف عن قتالهم، وليخرج المحتلون من الأراضي التي احتلوها، وعندها تتوقف رحى المعارك.

---

(1) عبد الفتاح، نبيل، **المصحف والسيف**، القاهرة، مكتبة مدبولي، سنة 1984، ص197، 198.

سماحة الإسلام والعلاقات مع المسيحيين

السماحة نقيض التعصب. ونقول شريعة سمحة، أي فيها يُسر وسهولة، وسماحة الإسلام يسر لا عسر فيه، ولقد وردت كلمة يسر في أكثر من آية قرآنية ليكون من خلال ذلك تأكيد على أن الإسلام دين يُسر وسماحة، لا دين عُسر وتعصب. وفي القرآن الكريم ما يدل على أن الله تعالى يريد بالناس اليسر ولا يريد بهم العسر، والنص القرآني جاء ميسراً فهمه، في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ۝١٧﴾[1].

أما التعصب والعسر فأمران مرفوضان في الإسلام، لأن التعصب يُبنى على الجهل وعلى رفض الحق حتى لو جاءت في تبيينه القرائن والأدلة، والعسر فيه تضييق على الناس يجلب لهم المشقة، وربنا سبحانه الرحمن بعث محمداً ﷺ

(1) سورة القمر، الآية 17.

نبي رحمة للعالمين وللناس كافة، ولا يريد منا التضييق بل يحبب إلينا الرخص إذا توافرت أسبابها، تماماً كما يطالبنا بالعزائم إذا حانت أوقاتها.

إن علامات السماحة كثيرة في الشريعة الإسلامية، وقد جاءت الممارسات تؤيد ذلك وتدلل عليه، ولعل من المحطات البارزة في هذا الأمر ما كان يوم فتح مكة المكرمة، فقد دخلها النبيﷺ ومعه آلاف الصحابة، وكان في مكة من هجَّروا رسول الله وصحبه، ومن آذوا وقاتلوا المسلمين من المشركين في قريش، ولما اجتمعوا وسألهم رسول الله «يا معشر قريش، ما ترون أنِّي فاعل بكم اليوم؟ قالوا: خيراً، أخ كريم، وابن أخ كريم. فقالﷺ لهم: اذهبوا فأنتم الطلقاء»[1].

هذه السماحة سبقتها سماحة أخرى في اللحظات الأولى لدخول مكة يوم الفتح عندما قال أحد الأنصار معتزاً بنصر المؤمنين على المشركين: «اليوم يوم الملحمة»، فنهره رسول الله قائلاً: (لا، بل اليوم يوم المرحمة وليس يوم الملحمة، فأنا نبي المرحمة ولست نبي الملحمة).

إن سماحة الإسلام عمادها الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، والابتعاد عن القسوة والفظاظة، لأن لين القول هو سبيل لتأليف القلوب ولتطبيق الإسلام، إن هذه السماحة لا تتوافق مع الغضب والانفعال اللذين يظهران من قِبَل بعض

---

(1) ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، م2، بيروت، دار صادر، ط6، سنة 1995، ص252.

الحركات والجماعات، ومن الواجب أن يعلم جميع المؤمنين أن الغضب يحوِّل صاحبه إلى ريح عاصفة تعبث بالنظام وبالأمور الجمالية وتحول التبشير تنفيراً.

تظهر اليوم حالات تشدُّد وانفعال تنأى بأصحابها عن سماحة الإسلام، وينسى هؤلاء «أنَّ الشعارات وحدها لا تغِّير الواقع، وأن الغضب جمرة تحرق العقل... وأن العزلة عن الآخرين شرود وانقطاع لا تصلح به دنيا ولا ينتشر به دين... وهم يعرفون، بقراءة سريعة لكتاب ربهم وسنة نبيهمﷺ وسيرته الغنية، أن الإسلام دين عدل ورحمة وحرية وسماحة وبر، وأنه يفتح نوافذ العقل على ملكوت الله... ويفتح آفاق النفس السوية على مودة الناس، كل الناس، وأنه حقاً وصدقاً، لا قولاً وشعاراً، رحمة للعالمين»[1].

هذه الرحمة والسماحة الإسلامية معالمها مشرقة في مختلف الميادين، وقد وصلت إلى مستوى الرأفة بالحيوان والحضِّ على إنصافه والاعتناء به، ولا أدلَّ على ذلك من الحديث الشريف الذي جاء فيه: أن النبيﷺ أبلغ صحبه عن امرأة عُذِّبت بهرتها لأنها حبستها فلا هي أطعمتها ولا تركتها تأكل من خشاش الأرض[2].

وسماحة الإسلام فرضت على المسلم أن يحفظ العهد مع

---

(1) أبو المجد، الدكتور أحمد كمال، **رؤية إسلامية معاصرة**، القاهرة ـ بيروت، دار الشروق، ط1، سنة 1412هـ ـ 1991م ص9.

(2) أخرجه مسلم وأحمد بن حنبل والنص: (إن امرأة دخلت النار بهرتها... الخ).

من استجار به حتى لو كان مشركاً، وأن يوصله إلى مأمنه دون أن يتركه يتعرض لأذى من أحد، وقد جاء في هذا قول الله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾﴾[1]. إن من السماحة أن يجير المؤمن المشرك، وأن يقوم بتبليغه شرع الله بالحكمة والموعظة الحسنة لأن جهله هو سبب شركه، فإن أبى أن يستجيب فعلى المؤمن أن يوصل المشرك إلى مأمنه دون تعريضه لأذى.

وقد برزت سماحة الإسلام في ميادين عدة سنتناول منها بإيجاز ما يتناسب مع سياق البحث.

السماحة في ميدانين: التعامل مع أهل الكتاب عامة والمسيحيين خاصة ـ حقوق الإنسان.

علاقات التسامح بين المسلمين والمسيحيين

إن عبادة الله الواحد، سبحانه، وإسلام الأمر له، دعوة جاء بها كل الرسل والأنبياء، والمسلم مفروض عليه الإيمان برسل الله جميعاً دون تفريق، ودعوة المسلمين إلى أهل الكتاب لصناعة موقف واحد وجبهة واحدة من المؤمنين ضد الشرك والكفر هي دعوة تقوم على الكلمة السواء بين كافة أهل الإيمان؛ إنها عبادة الله الواحد. إن الحوار بين المسلمين والمسيحيين يجب أن ينطلق من قول الله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ

---

(1) سورة التوبة، الآية 6.

﴿ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ٦٤﴾[1].

إنطلاقاً من قول الله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾[2]، فإن الإسلام بشريعته السمحاء لم يقف من الرسالات «السماوية السابقة موقف تحدٍ وجحود، وما كان له أن يقف مثل هذا الموقف، لأنه جاء استكمالاً لرسالة وشرائع الرسل السابقين، وجميعها مع الإسلام من مشكاة واحدة تفيض بالنور والهدى، لأنها رسالات الله إلى الناس، وجاء الإسلام قائماً مستكملاً ما تحتاجه البشرية تبعاً لتطورها»[3].

إن علاقات الود والتسامح بين أتباع الرسالات السماوية مسألة يستلزمها جوهر الرسالات نفسها وتلك الأخوة بين الأنبياء عليهم السلام، وهذه السماحة لا تقبل شقاقاً ولا تنافراً لأن ذلك يتنافى مع موقف النبي ﷺ الذي جاء عنه في الحديث النبوي الشريف: (إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به، ويعجبون له، ويقولون هلَّا وضعت هذه اللبنة؟ فأنا اللبنة؟ وأنا خاتم النبيين)[4].

«إن مغزى هذا الحديث أن شرائع الأنبياء ورسالاتهم في

---

(1) سورة آل عمران، الآية 64.

(2) سورة البقرة، الآية 285.

(3) جاد الحق، الإمام جاد الحق، النبي ﷺ في القرآن، م.س، ص201.

(4) أخرجه البخاري في صحيحه.

الحقيقة لبنات هذا البناء الذي ضرب مثلاً لأخوة الأنبياء ووحدة شرائعهم، والذي بينها من توافق في المقاصد والأصول هو بمثابة ما يشد لبنات البناء بعضها إلى بعض حتى تتوحد فتصبح كلها شيئاً واحداً»[1].

إن رسالات السماء لبنات بناء واحد، لذلك يجب أن تقوم العلاقات بين أتباعها على هذه القاعدة وبذلك يكون المطلوب من المسلمين والمسيحيين أن يلتزموا في علاقاتهم مع بعضهم مدلول هذه الآية الكريمة من القرآن الكريم التي جاءت ترسم العلاقة، وفيها: ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوٓا إِنَّا نَصَٰرَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾[2].

إن مشاعر المودة والتسامح والتآخي بين المؤمنين بما أنزل الله على رسله في مواجهة مَنْ جحدوا وأشركوا هي التي جعلت المسلمين الأول في عهد رسول الله ﷺ يحزنون لهزيمة أصابت الروم على أيدي الفرس. لقد حزن المسلمون لهزيمة أصابت الروم وهم مسيحيون أهل كتاب على أيدي مشركين من الفرس، فأراد الله سبحانه أن يطيّب نفوس المسلمين فبشَّرهم في صريح القرآن، أن الغلبة ستعود للروم على الفرس خلال بضع سنين، وعندها سيكون ذلك مصدر فرح للمسلمين بعد حزن أصابهم.

(1) عرجون، محمد الصادق، **الموسوعة في سماحة الإسلام**، م1، القاهرة، مؤسسة سجل العرب، سنة 1392هـ ـ 1972م، ص240.

(2) سورة المائدة، الآية 82.

قال الله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥﴾[1].

جاء عند القرطبي عن هذه الآية: «روى الترمذي عن نيار ابن مكرم الأسلمي قال: لما نزلت (الآيات) وكانت فارس يوم نزلت هذه الآية قاهرين للروم، وكان المسلمون يحبُّون ظهور الروم عليهم لأنهم وإياهم أهل الكتاب، وفي ذلك نزل قول الله تعالى: ﴿وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ وكانت قريش تحب ظهور فارس لأنهم وإياهم ليسوا بأهل كتاب ولا إيمان ببعث»[2].

إن هذه الآيات تحمل موقفاً نحتاجه اليوم كي يأخذ المسلمون والمسيحيون منها درساً لتحصين صفوفهم من الفتن والمكائد. والمعلوم أن المسيحيين كانوا شركاء مع المسلمين في ظل الدولة العربية في بناء الحضارة وفي الحركة الفكرية والثقافية والعلمية، كما أن المسيحيين تولّوا مناصب عديدة في إدارة شؤون الدولة وتكليفهم بوظائفها، وهذا يدل على مدى تسامح الإسلام والمسلمين معهم»[3]. وما مشاركة المسلمين للمسيحيين في الدولة إلا بسبب حرية معتقدهم التي

(1) سورة الروم، الآيات 1ـ 5.

(2) القرطبي، م.س، ج14، ص2.

(3) زيدان، الدكتور عبد الكريم، **أحكام الذميين والمستأمنين في دار الإسلام**، بيروت، مؤسسة الرسالة، سنة 1402هـ ـ 1982م، ص82.

ضمنها لهم الإسلام على قاعدة الآية الكريمة: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾، وعلى قاعدة حقهم في الاحتكام إلى الإنجيل فيما يخصهم من إشكالات وقضايا، والدليل على ذلك قول الله تعالى: ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾﴾[1].

والعهد الذي أعطي للمسيحيين وفق عقد ضَمنَ لهم حرية معتقدهم وحرمة أموالهم وأعراضهم ودمائهم كالمسلمين تماماً، وقد حدد أهمية الحفاظ على العهود مع أهل الكتاب النبي محمدﷺ في أحاديث شريفة منها: (من ظلم معاهداً وكلّفه فوق طاقته فأنا حجيجه)[2]، (من آذى ذمياً فأنا خصمه، ومن كنتُ خصمه خصمته يوم القيامة)[3].

ومما يعزز التسامح في العلاقات بين المسلمين والمسيحيين ويصلح كي يكون دستوراً في كل زمان ومكان وقفاً لنعرات وفتن وحروب قد تثور هنا أو هناك، ولصراعات لا تبقى ولا تذر، تلك العهود والمواثيق التي تمت للمسيحيين ومنها ما كان من رسول اللهﷺ من هذه العهود هذا العهد لنصارى نجران وفيه:

(ولنجران وحاشيتها جوار الله وذمة محمد النبي رسول الله على أنفسهم، وملتهم وأرضهم، وأموالهم، وغائبهم وشاهدهم وعيرهم وبعثهم، وأمثلتهم لا يغير ما كانوا عليه

---

(1) سورة المائدة، الآية 47.

(2) أخرجه أبو داود في سننه.

(3) أخرجه السيوطي في الجامع الصغير وإسناده حسن.

ولا يغير حق من حقوقهم وأمثلتهم، لا يمنعن أسقف من أسقفيته ولا راهب من رهبانيته. وليس عليهم رهق ولا دم جاهلية... من سأل منهم حقاً فبينهم النصف غير ظالمين ولا مظلومين، ولا يؤخذ منهم رجل بظلم آخر، ولهم على ما في هذه الصحيفة جوار الله وذمة محمد النبيﷺ أبداً حتى يأتي أمر الله، فانصحوا وأصلحوا فيما بينهم غير مكلفين شيئاً بظلم)[1].

إنه دستور يحفظ لمسيحيي نجران حريتهم الدينية وأملاكهم ودمهم دون استثناء، ويرعى العدل معهم وبينهم. يا حبذا لو أخذ الناس هذا العهد وطبقوه في علاقتهم على مختلف أوطانهم وقومياتهم. في ظل تطبيق هكذا عهد لا مكان لطائفية أو تعصب ولا مجال لانقسام أو تهديد للوحدة الوطنية ولا مبرر لقيام صراعات مستترة بالدين والدين منها براء.

إن هذا العهد كان نموذجاً لعهود أعطيت للمسيحيين من قِبَلِ الفاتحين والخلفاء فيما بعد، وازدادت روابط الود والتسامح في ظل الإسلام لدرجة إعطاء المحتاجين من المسيحيين من بيت المال، والحوادث على ذلك كثيرة منها هذه الواقعة: «حدثني هشام بن عمار أنه سمع المشايخ يذكرون أن عمر بن الخطاب عند مقدمه الجابية من أرض دمشق مرَّ بقوم مجذومين من النصارى فأمر أن يُعطوا من

(1) البلاذري، فتوح البلدان، راجعه وعلق عليه رضوان، محمد رضوان بيروت، دار الكتب العلمية، سنة 1403هـ ـ 1983م، ص76.

الصدقات وأن يُجرى عليهم القوت»[1].

وحتى لا يطول بنا الكلام، لو أردنا استعراض المواقف التي تظهر مودة المسلمين للمسيحيين وتسامحهم معهم، سأنتقل إلى الحديث عن وقفة للإمام عبد الرحمن الأوزاعي في العصر العباسي انتصر فيها للمسيحيين وحقِّهم في الأمان وفي العهد المعقود معهم، وأنه لا يصح من والٍ أن يُنزل العقاب بالعامة لأن نفراً قليلاً قد اساؤوا، وهذه الواقعة كانت يوم تعامل أحد موارنة جبل لبنان، واسمه «بندار»، مع البيزنطيين، وقام بأعمال تخريب في أطراف سهل البقاع، وقرر يومها الوالي العباسي على بعلبك، صالح بن علي بن عبد الله بن عباس، تأديب بندار لكن قراره كان يشمل العامة، وذلك بأن يخرج موارنة جبل لبنان من ديارهم ويوزع سكنهم في مناطق متفرقة، فما كان من الإمام الأوزاعي، وهو فقيه بلاد الشام يومها، إلا أن «كتب إلى صالح بن علي بن عبد الله بن عباس رسالة طويلة حفظ فيها: «وقد كان من أجلاء أهل الذمة من جبل لبنان ممن لم يكن ممالئاً لمن خرج على خروجه ممن قتلت بعضهم ورددت باقيهم إلى قراهم ما قد علمت، فكيف تؤخذ عامة بذنوب خاصة حتى يخرجوا من ديارهم وأموالهم، وحكم الله تعالى أن: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ - وهو أحق ما وُقف عنده واقتدي به، وأحق الوصايا أن تُحفظ وتُرعى وصية رسول الله ﷺ فإنه قال: (من ظلم معاهداً وكلفه فوق

---

(1) البلاذري، م.س، ص135.

طاقته فأنا حجيجه)»[1].

هذا المنهج في التسامح هو الأصل والقاعدة، وإن شابته شائبة في عهد ما، أو في موقع ما، فذلك خروج عن منهج الإسلام في التعامل مع أهل الكتاب من المسيحيين الذين ضمنت لهم حرية المعتقد وحرمة النفس والمال والعرض، وإن حصلت معهم مجادلة فبالتي هي أحسن.

وإذا كانت الحملات الصليبية قد استباحت كنيسة القسطنطينية ـ كما مر معنا سابقاً ـ فكيف كان التعامل مع مسيحيي تركيا بعد أن فتحها العثمانيون، ويُترك الكلام لمؤرخ أرثوذكسي مسيحي هو أفغراف سميرنوف لإبراز السماحة التي حكمت العلاقة، حيث يقول: «وقد عبَّر محمد الثاني عن عطفه على مسيحيي المملكة البيزنطية السابقة قبل كل شيء، وعبَّر أيضاً عن تساهله الديني لأنه فهم بأن الإيمان كان له دائماً الأهمية العظيمة في حياتهم الدولية، فحالما أُخضعت القسطنطينية أصدر أمراً يدعو فيه السكان الهاربين ليعودوا إلى المدينة تاركاً لهم الحرية في قضية الإيمان والوجدان، وعلى أثر ذلك رجع كثيرون من اليونان إلى القسطنطينية، وغيرهم اختاروا الانتقال إليها من مقاطعات أخرى بمطلق حريتهم، وفي السنة التالية 1454 أعلن الفاتح بصورة أوضح حمايته للإيمان المسيحي والكنيسة»[2].

ويضيف البطريرك المؤرخ أفغراف سميرنوف في حديثه

---

(1) البلاذري، م.س، ص167.

(2) سميرنوف، أفغراف، م.س، ص494.

عن التسامح مع المسيحيين فيقول: «ووضعت الكنائس تحت حماية الحكومة، وفي الوقت ذاته منع تحويلها إلى جوامع، عدا تلك التي تحولت قبلاً، وقد سمح لكل المسيحيين أن يقيموا شعائرهم الدينية بحرية، وأن يحتفلوا بأعيادهم، وقد منع تحويلهم بالقوة إلى الإسلام، وبقيت أملاك الكنيسة غير ملموسة، ومنع أيضاً تحويل الأموال المختصة بالكهنة إلى الخزينة إذا ماتوا بلا عقب، وفضلاً عن ذلك فقد خول محمد الثاني حقوقاً لبطريرك القسطنطينية لم تكن زمن الأباطرة البيزنطيين، فأُعطيت له سلطة مدنية على المسيحيين لينظر في أمورهم بموجب القوانين اليونانية القديمة مستقلاً عن المحاكم التركية»[1].

إن هذا التسامح الذي أكدته الأحداث في مراحل تاريخية عديدة هو الذي ساهم في أن يصنع المسلمون والمسيحيون، في مجتمع الأمة العربية خاصة وفي مجتمعات أخرى، وحدةً وطنية متينة، وهذا ما ساعد على قيام نهضة وحركة حضارية أسهم فيها الجميع، كلٌّ حسب قدراته، وعاش الجميع في جو من السماحة والود والأمان.

«وبفضل هذا الأمان والعلاقات القائمة على أسس واضحة من حرية العقيدة، واحترام الإنسان، أي إنسان، في هذا المجتمع العربي ـ الإسلامي، تبلورت الشخصية الحضارية العربية، وسمتها الإيمان بالله، وبدور الإنسان المستخلَف في الأرض، وساهم الجميع ببناء صرح هذه

---

(1) سميرنوف، أفغراف، م.س، ص495.

الحضارة، ولعل العودة إلى أي كتاب يتحدث عن الرجالات الذين أسهموا في مجالات الفكر العربي عامة، تُطلعنا على ذلك العدد الضخم من المسيحيين الذين شاركوا في كل علْم وصنعة، سواء في أعمال الترجمة، أو في الفلسفة أو في الطب، أو في نظم الشعر... الخ[1]».

هذا الواقع المعيشي الذي قام على التآلف والتسامح والمودة هو الذي حفظ العيش الكريم في المنطقة العربية، وفي هذا المجال نذكر ما قاله مفكر مسيحي معاصر هو الدكتور أدمون رباط في إطار حديثه عن المسيحيين في المجتمع العربي بعد الفتح العربي، وفيه: «إن من بقي من هؤلاء النصارى، موزعين إلى طوائفهم المعروفة بتسمياتها المختلفة ـ إنما هم شهود عدل عبر التاريخ، ليس على سماحة الإسلام وهو تعبير لا يفي الواقع، لأن وجودهم أهل ذمة في الماضي، إنما كان مبنياً على قاعدة شرعية وليس على شعور من طبيعته أن يتضاعف أو يضعف، وإنما على إنسانية هذا الدين العربي الذي جاء في القرآن، وهو الدين الذي أقرَّ لغير المسلمين، ليس فقط بحقوقهم الفردية والجماعية الكاملة، بل وأيضاً بالمواطنة الشاملة في عصرنا الحاضر»[2].

---

(1) السحمراني، الدكتور أسعد، **الإسلام بين المذاهب والأديان**، بيروت، دار النفائس، ط2، سنة 1413هـ ـ 1992م، ص74.

(2) رباط، الدكتور أدمون، **المسيحيون في الشرق قبل الإسلام**. في: **المسيحيون العرب**، المحرر إلياس خوري، بيروت، مؤسسة الأبحاث العربية، ط1، سنة 1981م، ص28.

تأسيساً على ما تقدم نقول: إن المسلمين اليوم مطالبون، انطلاقاً من شريعتهم السمحاء، أن يتحاوروا مع أهل الكتاب من المسيحيين على قاعدة الإيمان بالله والوحدة، وسعياً لجمع الكلمة حتى تسود، بتعاونهم في الأرض، القيم الدينية التي حملتها رسالات السماء إلى بني البشر.

من حقوق الإنسان في الإسلام

إن الإنسان مستخلَف في الأرض، وقد كتب الله تعالى له التكريم والتفضيل على كثير من المخلوقات، هذا ما حملته الآية الكريمة: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾[1].

هذا التكريم هو الذي يحكم العلاقات الاجتماعية بين الناس مهما تنوعت انتماءاتهم، ومهما تفرقوا شعوباً وقبائل وطوائف، فالاعتبار الأساسي هو أن يتعارفوا ويتحاوروا ويتعاملوا على أساس تحقيق التكريم لعموم الآدميين.

«ومن أجل حماية كرامة الإنسان وتحقيق مصلحته، جاء الإسلام الحنيف يحمل معه تفاصيل عديدة تشريعية في الكيفيات والأحكام اللازمة من أجل حفظ حرمات الإنسان، ومنع الأذى والظلم عنه من أية جهة أتى»[2].

إن حقوق الإنسان التي توفر له الكرامة والتكريم تبدأ أولاً

---

(1) سورة الإسراء، الآية 70.

(2) السحمراني، الدكتور أسعد، **العدل فريضة إسلامية**، م.س، ص67.

من حرية الاعتقاد حيث بيَّن الله تعالى لعباده، في رسالاته الخالدة وخاتمتها الإسلام، طريقي الإيمان والكفر، وترك للإنسان بعدها أن يختار السبيل الذي يريد، وبعد ذلك تكون محاسبته مبنية على اختياره وممارسته.

والآيات القرآنية التي تبلغ عن أمر حرية الاعتقاد كثيرة نذكر منها: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ﴾[1]، والآية: ﴿وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ﴾[2]، كما أن دعوة الأنبياء والرسل أتت في باب التبليغ والإنذار، ولم تأتِ في باب الإكراه والإلزام، ويتضح ذلك من آيات عديدة منها قول الله تعالى خطاباً للنبيﷺ: ﴿فَذَكِّرۡ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٞ ۝٢١ لَّسۡتَ عَلَيۡهِم بِمُصَيۡطِرٍ ۝٢٢﴾[3].

بعد ذلك ضمن الإسلام للإنسان حق الحياة، وحرَّم القتل والاعتداء على حياة الآخرين، ومن أجل ذلك يكون القصاص خير رادع لمن تسوّل له نفسة إيذاء الآخرين وقتلهم، لأن الإنسان هو بنيان الله تعالى الذي جعله في أحسن تقويم، ومن يهدم هذا البنيان عليه اللعنة والعقاب، وليعلم المستبيحون لدماء الناس دون مسوِّغ أنهم مع كل قتل أو اغتيال يمارسونه، وهم في موقع الدعاة أو المواطنين، وليسوا سلطاناً بيده وضع الحدود، إنما يقتلون الناس

(1) سورة البقرة، الآية 256.
(2) سورة الكهف، الآية 29.
(3) سورة الغاشية، الآيتان 21، 22.

جميعاً. عن حرمة القتل ومخاطر القتل جاء قول الله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾[1]، وكذلك قوله تعالى: ﴿أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾[2].

إن حق حماية الحياة الذي ضمنه الإسلام للإنسان، يتولد عنه حق آخر مضمون هو حق كسب الرزق والمعاش لجميع أبناء المجتمع على التساوي دون تمييز أو مفاضلة، فالأرض أرض الله تعالى، وهو سبحانه مقسِّم الأرزاق، والسعي للكسب مضمون للجميع، انطلاقاً من نصوص القرآن الكريم ومنها قول الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴿١٥﴾﴾[3].

وقد ضمن الإسلام حق الملكية للجميع، وأعطى الحق لصاحب المال أن يدافع عما بين يديه، وقد جاء في هذا الباب الحديث النبوي الشريف، وفيه أن رجلاً جاء إلى الرسولﷺ يسأله: (يا رسول الله، أرأيت إذا أراد رجل أن يأخذ مالي؟

فقال الرسول: لا تعطه.

قال: إذا قاتلني؟

---

(1) سورة النساء، الآية 93.

(2) سورة المائدة، الآية 32.

(3) سورة الملك، الآية 15.

قال ﷺ: قاتله.

قال: أرأيت إذا قتلني؟

قال ﷺ: فأنت شهيد.

قال: فإن قتلته؟

قال: فهو في النار)[1].

وفي شريعة الإسلام ضمان لسمعة الإنسان، فلا يحق لأحد أن يغتابه أو ينمَّ عليه أو يشهِّر به، جاء وصف بشع لحال من يغتاب سواه في الآية: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾[2].

وكذلك للإنسان حق في منزله أن يضمن حرمته فلا يحق لأحد دخوله إلا بعد الاستئذان منه كما نصت الآية الكريمة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٢٧)﴾[3].

هذا نزر قليل من الحقوق التي ضمنها الإسلام للإنسان أوردتُها كنماذج من أجل التأكيد بأن الإنسان مصان في ظل شريعة الإسلام السمحاء مسلماً كان أم مسيحياً.

وإذا أردنا أخذ درس لواقعنا العالمي اليوم فإننا نستند إلى أن الإسلام قد طالب بسلام وودٌ يحكم صلات الناس ببعضهم، وطالب الناس جميعاً باعتماد التقارب والتفاهم من

---

(1) أخرجه مسلم في صحيحه.

(2) سورة الحجرات، الآية 12.

(3) سورة النور، الآية 27.

أجل صنع حياتهم المشتركة، ومن أجل نشر الصلاح والتقوى التي بها يتفاضل الناس لا بسواها من المقاييس، وقال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[1].

إن الوحي الإلهي جاء بلاغاً لبني البشر وهدى يحقق لهم سعادة الدارين: الدنيا والآخرة، ولم يطلب منهم أن يقضوا حياتهم في حالة نزاع وصراع تجلب لهم الشقاء والظلم، لذلك فإن المتديِّن الحق يكون حسن الموعظة، متميزاً بالرحمة والتوجه الوحدوي، ولا يكون فظاً منفراً، ولا داعية انقسام وفتن وصراعات.

علينا جميعاً أن نعلم بأن: «الغاية من التشريع الإلهي، كما صرحت به كتبه المنزلة ونادى به حملة ميثاقه المصدق، هي سعادة الإنسان ورفع مستواه في مضمار هذه الحياة، ولا ريب أن التطاحن هو ضد السعادة.

فإذاً، هذا التطاحن الذي يلمسه كل من المتدينين فعل حرام، لأن الدين إنما جاء للسعادة، والتطاحن الذي نجده اليوم كله ضد السعادة. فإذاً، هو ضد الدين في معتقد كل واحد، فمن واجب علماء الدين في الإسلام أو في المسيحية أن يُفهموا مَنْ تحتهم من الأفراد بأن التطاحن هو ضد الدين، وأنه محرم عليهم لأنه خلاف الغاية المقصودة»[2].

---

(1) سورة الحجرات، الآية 13.

(2) كاشف الغطاء، الشيخ علي، **سبل التعاون بين الديانتين لنقل قيمهما الروحية للأجيال القادمة**، في: مضابط جلسات المؤتمر الإسلامي المسيحي، لبنان ـ بحمدون 22ـ 27 نيسان 1954، ص97.

الباب الثالث

1 ـ إشكالية العنف والإرهاب في واقعنا المعاصر

2 ـ مسببات العنف في المجتمعات العربية والإسلامية

3 ـ مقترحات لمعالجة ظواهر الإرهاب والعنف



إشكالية العنف والإرهاب في واقعنا المعاصر

تضج وسائل الإعلام هذه الأيام بأنواعها، من مقروءة، أو مسموعة أو مرئية، بكلام أو أخبار تدور جميعها في حلقة واحدة يطلقون عليها اسم الإرهاب، وقد تستخدم كلمات أخرى كالأصولية أو العنف. . . الخ، ولكن المقصود واحد هو إبراز الحوادث الفردية أو التي تتخذ طابعاً جماعياً ـ أحياناً ـ وهذه الحوادث تقوم بعض فصولها على استخدام القوة ضد فريق أو شخص آخر.

والإشكالية في الواقع المعاصر تنبع من إعلام أوروبا الذي يبرز هذه الأحداث دون تمييز فيها بين استخدامٍ مشروع للقوة واستخدامٍ غير مشروع، بل ومن باب ذر الرَّماد في العيون تراهم، عَن عمد، يخلطون بين الوقائع خلطاً عجيباً هادفاً، فعملٌ من أعمال القرصنة يسمونه إرهاباً، وفعل من أجل تحرير وطن، أو دفع ظلم يسمونه إرهاباً، وما ذلك إلا

لممارسة الضغط المعنوي على الشعوب والأمم التي يريدونها أشبه بخراف يقودونها إلى الذبح لينالوا منها ما يبغونه من كسب.

وإذا قال قائل: لكن إعلام دول الجنوب الفقيرة، أو ما يسمى دول العالم الثالث ومنها العرب والمسلمون، يستخدم الطريقة نفسها، نقول: أليست وكالات الأنباء الرئيسة في العالم ترسم الأحداث كيف تشاء لمصلحة أوروبا وأمريكا؟ بذلك يكون من البديهي أن توجه الأخبار وفق مقاصدهم السياسية، والمعلوم أن وسائل الإعلام في بلداننا ليست أكثر من ناقل يعدِّل في الصياغة الإنشائية، هذا في أحسن الأحوال.

بعد سقوط الاتحاد السوفياتي وحلف وارسو يعمل الأمريكيون ـ إن استطاعوا ـ لصناعة ما يسمونه نظاماً عالمياً جديداً، المقصود به أن يمسكوا بالقرار العالمي، وأن يتحكموا بمصير الأمم بحيث يكون الأمر لهم في كل ميدان، ولذلك نراهم في كثير من الأحداث العالمية القديمة أو الناشئة حديثاً يصادرون حق غيرهم بما في ذلك هيئة الأمم المتحدة وسائر المؤسسات القارية أو الإقليمية سعياً للانفراد بكل شيء.

لذلك نجد إعلامهم وملاحقه هو الذي يشهر هذا السلاح، سلاح مقولة الإرهاب، في وجه الشعوب توليداً لعقدة ذنب تؤدي إلى انفرادهم بالقوة التي يسهرون على امتلاكها هم وحلفاؤهم، وفي مقدمهم العدو الإسرائيلي. ففي حين

يطنبون في الحديث عن سلام مزعوم تراهم يضيفون إلى ترسانة الدولة المغتصبة ـ إسرائيل ـ، كل يوم، عاملَ قوة عسكرية جديداً من السلاح النووي أو سواه، وهم أنفسهم ـ أمريكا والغرب ـ لا يزالون يخصصون المبالغ الطائلة لصناعة السلاح أو تطويره ليكدسوه في مخازنهم، وبمقابل ذلك تراهم يشغلون كل إعلام تطاله أيديهم للتنديد بدولة عربية أو بدولة من دول الجنوب الفقيرة سعت لشراء بعض قطع السلاح أو عملت لتطوير قدرتها العسكرية.

والأغرب من ذلك كله أنهم يتَّهمون بالإرهاب من اقتنى سكيناً أو قطعة سلاح فردي ليسهم في تحرير أرضه، أو الدفاع عن كرامته وعرضه، ويسمون تفننهم في تصنيع أسلحة الدمار التي تلقي الرعب في قلوب أمم وشعوب تطوراً تكنولوجياً!.

وإذا كانت بعض مظاهر العنف في بلادنا غير مبررة، خاصة تلك التي تصنع حروباً أهلية واقتتالاً داخلياً، أو تحدث فتناً وإخلالاً بالأمن لكن امتلاك أسباب القوة والإعداد أمران مشروعان تحضيراً لإنجاز هدف التحرير واسترداد الأرض والمقدسات والثروة والكرامة.

وأضيف: لقد عملوا على تشويه صورة العربي في السابق، وأغلب سكان البلاد الإسلامية وبلدان العالم الثالث فصوروه، زوراً، أنه ثمل يترنح على الأرصفة طلباً لكأس أو غانية، واليوم يصورونه إرهابياً مولعاً بسفك الدماء والقتل، وفي كل ذلك تراهم يبنون على حادثة فردية يحصل مثيلها،

وحصل مثيلها وأكثر منها في كثير من المراحل والبلدان، وما فعلهم هذا إلا من باب الشائعة التي تخدم هدفاً سياسياً.

هذا الكلام ليس تبريراً لظواهر تحصل في أمتنا لا الدين يقرها ولا المجتمع يرضى بها، لكنه وضع للأمور في نصابها، لأن ظواهر العنف منتشرة في كل بقاع الأرض نتيجة عوامل كثيرة ـ سنتعرض بعونه تعالى لها لاحقاً ـ، وهذه الظواهر تتخذ أشكالاً مختلفة، وتحصل في مجالات عديدة، وتحتاج للمعالجة باستئصال مسبباتها، والإسلام لا يقر الروح العدوانية، ولا الاستخدام العشوائي للقوة، ورسالته داعية للأمن والسلام وفق أسس العدل وإحقاق الحق، لكن أقول مكرراً: إشكالية الإرهاب والعنف المعاصرة تحتاج لمعالجة شاملة، وعلاجُها العدلُ داخل كل مجتمع وأمة، وعلى صعيد التعامل بين الأمم والشعوب، وأذكّر هنا بمقولة لطيفة يرددها العربي منذ القدم: «العدل إن دام عمَّر (بنى)، والظلم إن دام دمَّر».

وفي لسان العرب، العنف، الخُرق بالأمر وقلة الرفق به، وهو ضد الرفق... وكل ما في الرفق من الخير ففي العنف من الشر مثله... التعنيف: التوبيخ والتقريع واللوم. وإذا كان العنف ضد الرفق هذا لا يعني البتة أن كل استخدام للعنف أمر سلبي، والأصح القول: يجب أن نميز بين عنف عشوائي أو عدواني وهو شر بلا نقاش، وعنف هادف يبغي مستخدمه ردع ظلم أو استرداد حق أو تأديب آخر ممن تحت ولايته، وهذا النوع من العنف يكون مقبولاً.

والأمر نفسه يقال عن الإرهاب. فالإرهاب الذي هو تخويف آخر وإلقاء الرعب في قلبه ليس دوماً فعلاً سلبياً، بل كثيراً ما يكون مستخدم الإرهاب محقاً، ويكون ضحية الإرهاب شخصاً مغتصباً لحقوق غيره.

هذه الإشارة أردتها لأبيِّن مخاطر الانسياق وراء دعايات الغرب وأمريكا التي تعد كل استخدام للقوة إرهاباً إذا كان من قِبَل سواهم، أما هم وصنيعتهم «إسرائيل» فيبيحون لأنفسهم التمادي في استخدام مختلف أشكال القوة ولا يسمون ذلك إرهاباً.

وأدعو القارىء لمثال من الواقع، فتفضل معي عزيزي القارىء إلى أرض فلسطين المحتلة حيث تسمع وتقرأ في إعلامهم أن من يرمي العدو المحتل بحجر أو يطعن أحد أفراده بسكين هو إرهابي، ويكيلون بسببه للعربي وللفلسطيني وللمسلم أشكال الاتهامات. أما احتلالهم للأرض وإبادتهم للسكان أو تهجيرهم وتشريدهم، ومصادرة أملاكهم فهي عندهم ليست إرهاباً. والحكاية نفسها عن لبنان. فالعدو الإسرائيلي يحتل الأراضي ويسلب المياه والثروات، وآلاته العسكرية تزرع الدمار في أرضه هنا وهناك ولا يسمون ذلك بأية تسمية، أما إن قاوَم لبناني فعلهم وعمل لردع عدوانهم ضِمْن الإمكانات المتاحة والمحدودة، فتراهم يستحضرون عندها من قاموسهم نعوت الإرهاب والعنف والأصولية والتخريب وما إلى ذلك من نعوت وأوصاف.

تأسيساً على ما تقدم، نطالب شعبنا أن يحذر من الانزلاق

وراء إعلامهم المتمادي في خدمة أطماعهم، وفي تبرير ظلمهم وعدوانهم. وبالمقابل نرى أن الواجب الديني والقومي والوطني يملي علينا أن نحسن تحديد الأهداف، وأن نجيد توجيه القوة إلى حيث يجب، فبمقدار ما يكون قتال الأعداء ومواجهتهم شرفاً ونبلاً، فإن استخدام القوة ضد الأخ وابن الوطن لتسعير الاقتتال جريمة لا تغتفر.

إن طرح إشكالية العنف والإرهاب في عصرنا تحتاج منا الوعي والحذر، والتنبه لما يخطط مغلقاً كما يُدس السمُّ في الدسم، لذلك لا يصح أن نأخذ بمفاهيم الغرب وأمريكا وإسرائيل للعنف والإرهاب واستخدام القوة فهي مفاهيم متحيِّزة ومغرضة، ويذهب تيد هندريش هذا المذهب فيقول: «إن فعلاً من أفعال العنف يعني استعمال قوة كبيرة أو مدمِّرة ضد الناس أو الأشياء، استعمال قوة مما ينتهك قاعدة من قواعد السلوك، وفي غاية الوضوح. إن هذا القول لا يعني أن نفترض مسبقاً ـ بالنسبة للرأي النهائي للمرء ـ أن فعلاً من أفعال العنف يجب أن يكون خاطئاً بالضرورة»[1].

ويحاول كاتبا كتاب «الإرهاب ـ التهديد والرد عليه»، وإن بشكل مضطرب نسبياً، أن يميِّزا بين الاستخدام المشروع للعنف والاستخدام غير المشروع حيث يبيِّنا، كما سنلاحظ، بأن الإرهاب قد يكون عملاً فدائياً لا تصح تسميته إرهاباً، وقد جاء في الكتاب المذكور في تحديد الإرهاب: «إنه

---

(1) هندريش، تيد، العنف السياسي، ترجمة عبد الكريم محفوض وعيسى طنوس، لا بلد نشر، ط1، سنة 1986، ص141.

الاسم الذي يستعمله من هو موضع تهديد. وفي القرن التاسع عشر، كان الإرهابي هو الشخص الذي يشترك في نوع خاص من الأفعال العنيفة ضد الدولة، وللمصطلح استعمالات تقليدية، وبراجماتية[1] وثورية، ويختلف الأمر تبعاً لمن يستعمله، وهل هو مقترف أحد هذه الفعال أو من ضحاياها. على أن الأمر لم يعد كذلك الآن، إذ كان المقترفون، فيما مضى، يخوضون حرب عصابات لتحرير بلادهم، مما يجعلهم من الفدائيين، لا إرهابيين. أما أتباع الفريق الآخر، فإنهم يستعملون كلمة إرهاب للدلالة على أي فعل يتضمن إحداث خلل في الوظائف العامة للمجتمع، وينضوي تحتها ألوان متعددة من العنف، ابتداء من عمليات اختطاف الطائرات في الفضاء إلى إلقاء القنابل بلا تمييز، إلى عمليات الاختطاف ذات الطابع السياسي، والاغتيال، وحوادث القتل باسم الدين، وإتلاف الملكيات العامة»[2].

إن إشكالية مفهوم كل من العنف والإرهاب ألقت بظلالها، بسبب الخلط السياسي والإعلامي الذي تمارسه دول أمريكا والغرب وصنيعتهم إسرائيل ومن يشكل موقع

(1) براجماتية Pragmatisme: ذرائعية: مذهب فلسفي يرى أن معيار صدق الآراء والأفكار إنما هو في عواقبها العملية، فالحقيقة تعرف من نجاحها. إلا أن هذا النجاح يمكن أن يفسَّر على معنى المنفعة الشخصية ضمن نظام معين، فتكون الكذبة الناجحة حقيقة، وهذا ما يسقط الذرائعية إلى مستوى السفسطة.

(2) موريس. أريك، وهو. ألان، **الإرهاب ـ التهديد والرد عليه**، ترجمة د. أحمد حمدي محمود، القاهرة، الهيئة العامة للكتاب، سنة 1991، 35.

الذيل لهم والهدف عندهم ذر الرماد في العيون. فحوادث العنف التي تحدث تهديداً فخوفاً لمن يقع عليه العنف تحتاج لتصنيف بيِّن، وإذا كانت عمليات الإرهاب تتمحور حول ثلاثة عناصر هي: مستخدم العنف ـ المتفرجون أو المراقبون ـ من يقع عليهم أثر العملية، فهذا لا يعني أن من يمارس العنف إرهابياً، وأن من دفع الثمن للعملية هو ضحية بريئة، وإنما قد تكون الحقيقة عكس ذلك تماماً، لذلك لا يصح أن يتسرع المتفرجون بإصدار الأحكام على مقترف العنف، وعليهم تحري الحقيقة، والبحث عن السبب أو جملة من الأسباب التي قادت إلى حادثة عنف ما، وكما وردت الإشارة، فقد يكون مستخدم القوة والعنف بطلاً من أبطال التحرير ومقاوماً مدافعاً عن الحق، وقد يكون هذا الشخص إرهابياً يقترف أفعاله لأهواء أو بغير وجه حق، أو من باب المؤامرة والفتنة، وهذا النوع الأخير يكون مشاغباً وفوضوياً يستحق العقاب، ومن واجب المجتمع والدولة والجميع الأخذ على يده، ووقف خطره.

وتحتاج وقائع حل إشكالية النظرة لمسألة استخدام القوة، كما تحتاج لتحديد مفهوم شبه دقيق لما نسميه مقاومة وجهاداً وبالتالي فهو بطولة وشرف، ولما نسميه إرهاباً غير مشروع لا هدف له سوى التخريب والعبث بوحدة المجتمع وهذا يحتاج للردع.

وحري بمن يلاحظ حدثاً سقط فيه ضحايا أن يضع حداً لانفعاله ومما يحصل له من إثارة عاطفية تحركت لدم يسيل أو لجثث تتناثر أشلاء، ولو تمكن الملاحظ من الوصول إلى

درجة من الموضوعية في مثل هذا الموقف قد يتحول إلى تعاطف بدرجة عالية مع مرتكبي عملية العنف كائناً ما كانت نتيجته خاصة إذا سُدَّت أمامه السبل للحصول على حقه، لكن مع شرط أساسي أن تستخدم القوة ضد الهدف الحقيقي، وهنا تحتاج القضية لشيء من التحديد، فالقوة مشروع استخدامها ضد مغتصب لأرض أو محتل أو مستبيح لمقدسات وأوطان، كحال العدوان الإسرائيلي على الأرض العربية والشعوب والمقدسات، وبمقابل ذلك لا يمكن لعاقل أن يقبل عمليات عنف تحدث بين مواطنين لهم انتماء واحد سببها تباين في الرأي أو تنازع على سلطة أو موقف.

ونستطيع أن نقول: من أعمال العنف ما يكون ثورياً مشروعاً، ومنه ما يكون تخريبياً مضراً، والعبرة للعوامل والأهداف، بصرف النظر عن نتائجه العملية. ويقول أحدهم في هذا: «تثير ظاهرة الإرهاب دائماً ردود فعل عاطفية قوية بشكلٍ عام، سواء عند الضحايا أو المشاهدين وبلا شك عند المحلِّلين، وذلك مهما كان تعريفنا لهذه الظاهرة، وبرغم أن الموضوعية التامة قد تخرج عن مقدور أي إنسان، إلا أننا قد نستطيع، بشكل أو بآخر، فصل أنفسنا عن المشكلات التي ندرسها، لكن هذا الفصل يصبح أكثر صعوبة لدى رؤيتنا الآثار الدامية لعملية إطلاق النيران على مسافرين... أو رؤية الضحايا الذين لقوا حتفهم... التعاطف هو الذي يولد ردود الفعل العاطفية ـ من خوف واشمئزاز ـ المرتبطة بالإرهاب.

فإذا عكسنا الموقف، وتمثلنا الضحايا مرتكبي الفعل

الإرهابي، فربما وجدنا لعنفهم عذراً انطلاقاً من أنه النتيجة التي يؤسف لها، لكن لا مفرَّ منها بسبب الصراع السياسي. . . بل ربما ذهبنا لمدى أبعد فننفي عنهم تهمة الإرهاب كليَّة»[1].

فاللجوء إلى العنف قد يكون السبيل الوحيد لمعارضة أمر واقع فيه ظلم، أو ينتج منه عدوان وضرر للطرف الذي لجأ إلى العنف. فحالة كالاغتصاب الصهيوني لفلسطين المحتلة وسواها من أرض العرب، هذا مع مشروع الاجتياح الاقتصادي، الثقافي والإعلامي الذي يعدون العدة له تحت اسم «التطبيع»، مشروع كهذا مدعوم من أمريكا والغرب لا يمكن إلا أن يُردَّ عليه بقوة وعنف من خلال استخدام الوسائل المتاحة كافة. ومثل هذا الفعل نسميه قتالاً، وله أهداف واضحة هي استرداد حق مسلوب.

وتأسيساً على ما تقدم يصح القول: «إن القتال الذي يدور بين وحدتين مسلحتين متنافستين في صراع قوة سياسي لا يعدّ إرهاباً، حتى ولو كان أحد الجانبين من رجال حروب العصابات أو أخذ خصمه المسلح على غرَّة. وأي حرب مهما كانت غير عادية ستبقى مجرد قتال ما دامت كل الأطراف فيها مستهدفة بوسائل مميَّزة. . . وفي المقابل يسهل إطلاق وصف إرهابية على الهجمات عالية اللاتمييز الموجهة على أهداف غير قتالية، فما يحدث في هذه الهجمات شيء

---

(1) سيدربرج، بيتر. سي، **أساطير إرهابية بين الوهم والمقالات والواقع**، ترجمة عفاف معروف، القاهرة، سنة 1992، ص41، 42.

يختلف تماماً عن القتال المسلح»[1].

إن إشكالية مفهوم العنف التي تسعى دوائر الصهيونية وأمريكا والغرب إلى إشاعتها من خلال الخلط بين الأمور، تحلُّ إذا اعتمدنا هذا التمييز، وبذلك يكون من الخطأ البيِّن أن نقبل إطلاق تسمية إرهاب أو عنف على أعمال المقاومة للاحتلال الإسرائيلي لأرضنا ومقدساتنا، بينما فعلهم العدواني على الأرض والشعب في أمتنا هو الإرهاب عينه وفق تعريفاتهم، وكذلك يقال الأمر نفسه عن العدوان الصربي على البوسنة، والهرسك والكوسفو، لا بل قل: إن العدوان الأمريكي الاقتصادي والإعلامي... الخ، على الأمم ـ خاصة دول الجنوب ـ هو ذروة الإرهاب، وقمة العدوان.

العنف المرفوض هو ذلك الاستخدام للقوة الذي يكون ضد أبناء الأمة، أو بين فرقاء اختلفوا في الرأي، أو الذي يعتمده جماعات أو أشخاص أعطوا لأنفسهم ـ دون وجه حق ـ صلاحيات أنتجت أشكالاً من الفتن والاقتتال أضرَّت وتضر بالوحدة الوطنية في بلدان كثيرة، والأسباب كثيرة منها الغضب والانفعال من ظاهرة، ومنها التعصب لفكرة أو رأي، ومنها الجهل بالحقائق أو الوقوف عند جزئيات دون التطلع إلى الأمور بأفق واسع ونظرة ثاقبة.

إن الإشكالية في واقعنا المعاصر تظهر من خلال عنف يقوم على استخدام للقوة بأساليب متعددة ينتج عنه إرهاب

---

(1) سيدربرج، بيتر. سي، م.س، ص56، 57.

يبدِّد طمأنينة الشعوب ويولد في نفوسها الخوف. إن الإشكالية المعاصرة المتولدة عن الإرهاب والعنف باتت حالة غير مقبولة لأنها تهدد الوحدة بكل أشكالها، وحدة الأسرة، وحدة المؤسسة، والوحدة الوطنية، ووحدة المسلمين، ووحدة المسيحيين، ووحدة جبهة المسلمين والمسيحيين التي باتت ضرورة لمواجهة الخطر الإسرائيلي على القدس وعلى القيم والشعوب في كل مكان. وإذا كان القتال بشكل الدفاع عن الحقوق مقبول وضروري، فإن العنف بإشكالياته المعاصرة بات يهدد الإنسانية بمجموعها لأنه يقترن بانفعال وغضب هما أشبه شيء بعاصفة هوجاء هبت وتوزعت تياراتها بشكل عبثي دون منهج ولا أهداف، فكانت النتيجة بعثرة مظاهر الجمال، وتوليد الاضطراب والقلق كبديلين عن الاستقرار.

العنف بكل أشكاله، سواء أكان سياسياً، أم اقتصادياً، أم متستراً بالدين، هو أشبه بمرض اعترى نفوساً حكمها الهوى، وتجذَّرت فيها الأنانية والمصلحية فباتت تستبيح كل شيء انطلاقاً من معايير ذاتية دون الالتفات إلى المعايير الشرعية الدينية أو معايير قيمية خلقية أو حتى قانونية. إن ما نراه حولنا اليوم يحتاج إلى تشخيص دقيق من قِبَل المؤمنين أهل الدين، ومن قِبَل قادة الفكر والرأي ليصار بعد ذلك إلى اقتراح الحلول ووضع العلاج المناسب لها.

إن العدوان الإسرائيلي على الحقوق العربية، والعدوان الأمريكي ـ الأوروبي على أمم الجنوب كلها بأشكال مختلفة، إضافة إلى حالة التعصب والانفعال عند بعض

الجماعات والمجموعات، كل هذه الأمور خلقت مظاهر انشطار، وفعل تفتيت في أكثر من أمة ووطن متخذة أشكالاً متعددة، منها ما هو ديني ومنها ما هو عرقي ومنها ما هو قارِّي أو على شكل أخلاق تجمعها المصالح لا المبادىء، مضافاً إلى ذلك الانشطار الكبير بسبب العدوان الاقتصادي المتواصل من دول الشمال على دول الجنوب، ويتصدر ذلك، هذه الأيام، عدوان الولايات المتحدة الأمريكية من خلال ما يسمونه «النظام العالمي الجديد»، ومن خلال ما يسعون له بفعل منح كل أسباب القوة للمحتل الإسرائيلي ويسمونه «النظام الشرق أوسطي». المدخل إلى ساحة الحل هو بوقف العدوان واعتماد الحوار الذي ينطلق أطرافه من الواقع والحق واحترام الإنسان وفق ما شرَّع الله سبحانه وتعالى، والمسلمون والمسيحيون مطالبون قبل سواهم بأن يلتزموا أسس حوار سليمة لما يحملون من قيم، ويكون ما يفعلونه منارة للشعوب. والحوار ومؤتمراته كما قال كمال شاتيلا: «باتت ضرورة تفرضها الحاجة لاحتواء العنصرية والتعصب الديني اللذين يهددان باضطراب العلاقة بين المسلمين والمسيحيين، إلا أن الحاجة إلى الحوار بين الشمال والجنوب ـ على مختلف الأصعدة ـ أصبحت أكثر من ضرورة ماسة، إذا كنا نرى بالفعل أن السلام لا يتجزأ وأن الحرية لا تتجزأ وأن حقوق الإنسان لا تتجزأ»[1].

---

(1) شاتيلا، كمال: **الحوار الحضاري وعلاقات الشمال والجنوب** في مجلة الموقف، لبنان، العدد 57، نيسان، 1991م، رمضان 1411هـ، ص56.

إن الحريصين على سعادة الإنسان وحقوقه لا يجوز لهم أن ينظروا إلى الأمور من زاوية واحدة، وبذلك يصنفون عمل مجموعة قامت باغتيال أو تدمير لمؤسسة على أنه إرهاب وهو إرهاب مرفوض إن لم يكن في خانة خطة التحرير والتحرر، وبالمقابل تراهم يتغاضون عن عدوان على شعب بأكمله أو على شعوب. في ظل الخلل السائد والأطماع لن يكون استقرار، وفي ظل منهج الانتصار للظالم ومعاقبة المظلوم الضحية، لن تسود بين الأمم علاقات سليمة، وإذا بقي هذا البون الشاسع بين الأطراف في تحديد المفاهيم دينياً، أو دولياً، أو لجهة أصول العلاقات يكون من الصعوبة، إن لم نقل الاستحالة، أن تستقيم الأمور، وإنما ستبقى الإشكالية قائمة وستزداد أشكال النزاعات والصراعات والفتن والحروب بمختلف أنواعها، بحيث نرى اليوم أن سمة الواقع العام لما يجري وكأنه انتقام من الإنسان عامة، ومن المؤمنين بالله الملتزمين بشرعه خاصة.

مسببات العنف في المجتمعات العربية والإسلامية

إن سيادة الثقافة النابعة من أصول إيمانية سليمة يصعب أن تنتج إرهاباً أو استخداماً عشوائياً للقوة، فالإسلام رسالة سمحاء، ويدعو إلى الوسطية والاعتدال في الأمور كافة، كما أنه يأمر بالرفق، وينهى عن الغلو والإفراط أو التفريط.

والخطاب الإلهي بيِّن واضح الدلالة والمعنى حين يعرِّف أمة المؤمنين في قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[1]. والوسطية تجمع الخيرية مع الاعتدال، وترد بعد ذلك الآيات بشأن التوسط في مختلف الشؤون بما في ذلك أداء الفرائض العبادية. فالصلاة وهي عماد الدين، وفرض عين على كل مؤمن يطالبنا ربُّنا سبحانه بأن نؤديها وفق المنهج الوسطي منهج الأمة، وقد جاء في ذلك قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرْ

(1) سورة البقرة، الآية 143.

بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾[1].

وإذا كان الاعتدال والتوسط مطلوباً في أداء الصلاة، فبذلك يكون، ضرورة، مطلوباً في الأمور كلها، وبالتالي لا يجوز اعتماد الغلو والتطرف.

والزكاة والإنفاق والصدقة أمور يأمر بها الدين ومنها مقصد مهم حيث يتحقق من خلاله التكافل، ومع ذلك كان، حسب النص القرآني، على المؤمن أن ينفق باعتدال ودراية فجاء قول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾﴾[2].

والله سبحانه الذي يريد بنا اليسر وليس العسر أَمَرَ باليسر في كل الأمور والشؤون، وفي ذلك رفق مع عباد الله ومراعاة لطاقة الإنسان ولمصلحة المجتمع، وقد جاء في الحديث النبوي الشريف: (إن الدين يسر ولن يشادَّ الدين أحدٌ إلا غلبه، فسدِّدوا وقاربوا وأبشروا)[3]. والإسلام السمح بُعث به نبي الرحمة رحمة للعالمين، والإسلام فوق أنه يمقت الغلو والتطرف وينكر الإرهاب والعنف العبثي، فإنه يدعو أتباعه إلى قبول الجيرة من المسلم لمن يطلبها حتى لو كان غير مسلم ما دام لم يعتدِ أو يتوجه بأذى. يقول الله تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾﴾[4]،

---

(1) سورة الإسراء، الآية 110.

(2) سورة الفرقان، الآية 67.

(3) أخرجه البخاري في صحيحه.

(4) سورة الممتحنة، الآية 8.

والرسولﷺ أمر بالمعاملة الإيجابية والحسنة للمسيحيين، والأحاديث في هذا الباب كثيرة نذكر منها على سبيل المثال الحديث الذي فيه عن رسول اللهﷺ: (من ظلم معاهداً أو كلّفه فوق طاقته فأنا حجيجه)[1].

هذا قليل من كثير من صور السماحة الإسلامية، فلِمَ يا ترى، إذن، ظواهر العنف والإرهاب التي نراها هنا وهناك في بلداننا؟ وهنا يمكننا في إطار عرض مسببات العنف والإرهاب في مجتمعاتنا العربية والإسلامية أن نحدد قسماً من هذه الأسباب وهي:

1 ـ الفهم الخاطىء للدين: إن المفاهيم المشوَّشة أو المشوَّهة التي تطرحها جماعات وفرق، أو يطرحها أفراد وأمراء جماعات في خطابهم أو كتاباتهم ومنشوراتهم تسهم في تشويش الفهم عند قبيل من المسلمين فيقع بسبب ذلك التضليل، ويأتي أصحاب الأهواء فيقودون هذه المجموعات المغرَّر بها إلى حيث ضررها وضرر المجتمع. إن الجامدين الذين يطرحون أفكاراً تقف عند الشكل على حساب المضمون، ويسطحون الأمور، يعطون صورة مشوَّهة عن الدين تتنافى مع سماحته ودعوته للتفكير وصنع الحضارة والتقدم.

إن عدداً غير قليل من المغرضين وأهل الأهواء الذين يستترون وراء شعارات دينية تراهم يتشددون في بعض الشكليات ويتهاونون في أمور جوهرية، وقد أعطى صورة

---

(1) أخرجه أبو داود في سننه.

دقيقة عن هؤلاء المرحوم الشيخ جاد الحق علي جاد الحق، شيخ الأزهر الأسبق، حيث قال: «ومن الغلو في الدين، وفي الأحكام التشريعية التعصب المذهبي أو التعصب للرأي مع وجود مذاهب أخرى معتبرة، كهؤلاء المغالين في أحكام اللباس والزينة، وفي أحكام الطهارة الحسية، وفي أحكام اللحوم المحرَّمة، وفي أحكام ما يُقصُّ وما يُعفى، وكظاهر الاقتداء بالرسولﷺ في طريقة أكله وشربه ولباسه ومعاشه ومشيه، مع أن هؤلاء الغلاة كثيراً ما يتهاونون في أمور الكبائر المجمَع على تحريمها، ولا يحذِّرون الناس منها، كالقذف والحسد والغيبة والنميمة وشهادة الزور والكذب وإثارة الفتن واستخدام المراكز الوظيفية للمصالح الشخصية أو الحزبية»[1].

يضاف، إلى ما سبق، إشكالية أخرى هي إشكالية ذلك الزعم الذي يتمسك به بعض الجماعات القائم على أن مجموعتهم هي الفرقة الناجية وبسبب ذلك يشهرون سلاح الاتهام في وجه سواهم، وتصل التهم غالباً إلى التكفير.

إن الزاعمين بأنهم الفرقة الناجية يسلمون قيادهم لمسؤولين وأمراء مجموعات يستغلون العناصر المغَفَّلة، والتي سلمتهم قيادها كي يقودوا المجتمع إلى ما لا تحمد عقباه، وقد أحسن الدكتور أحمد كمال أبو المجد في وصفه لهم في قوله بأن من أسباب التطرف والغلو: «الطاعة المطلقة لأمير الجماعة... وقد لا يكون على علم بأحكام الشريعة

(1) جاد الحق، الشيخ جاد الحق علي، م.س، ص106، 107.

ومقاصدها... أو دراية بأساليب العمل الجماعي والسياسي، أو تقوى تجعله يتحرَّج ويحتاط في أمور الدماء والأموال والأعراض. إن هذه الطاعة المطلقة التي تستند إليها التبعية في المنشط والمكره هي الباب الذي يندفع فيه جموع الشباب إلى مصارعها، وإلى إهلاك الحرث والنسل من حولها دون أن تتوقف لتراجع أو تتدبر أو تتساءل»[1].

«إن هذه الأسباب هي التي قادت إلى بروز ما تشهده المجتمعات الإسلامية والعربية من ظواهر الغلو والإرهاب والعنف والتي سفكت دماء، وهدمت مؤسسات وزرعت الرعب هنا وهناك، كما أن الجَهَلَة من العوام الذين يسيئون للدين بمفاهيمهم الخاطئة وعلومهم المرتجلة يمارسون شكلاً من أشكال التسلط والديكتاتورية على العلماء المستنيرين الذين كثيراً ما يحجمون عن إعلان موقف، أو إطلاق مبادرة لا لشيء إلا لخوفهم من استغلال من قِبَل العوام في غير ما يقصده صاحب الموقف أو المبادرة[2].

ويندرج في هذا الباب هذا التصدي للاشتغال بعلوم الدين وبالدعوة من قِبَل أشخاص لا يملكون الكفاءة للعمل الذي يزعمون أنهم يقومون به، والمؤسف أن هؤلاء الجهلة تراهم في الأمور الحياتية اليومية يردُّون كل شيء للمختص فيه

---

(1) أبو المجد، الدكتور أحمد كمال، **حوار لا مواجهة**، م.س، ص56.

(2) الغزالي، الشيخ محمد، **السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث النبوي**، بيروت ـ القاهرة، دار الشروق، ط1، سنة 1409هـ ـ 1989م، ص59.

والمؤهل له، أما في أمور الدين فإنهم يرخِّصون لأنفسهم بخوض الحوارات والقال والقيل.

وهنا نصل إلى القول بأن من الأسباب المؤدية إلى الغلو والتطرف «أخذ المعرفة الدينية عن طريق السماع عن الخطباء والوعَّاظ والاستخفاف بآراء الأئمة المجتهدين، والتسليم بحق الاجتهاد المطلق لزعمائهم في حركاتهم.

ويتصل بهذا ما وصل إليه بعض أمراء تلك الجماعات من ادعاء الاجتهاد المطلق وممارسة الإفتاء في أمور الدماء والأموال والأعراض بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير... وزعم بعضهم أنهم يتصلون مباشرة بالقرآن وألا حاجة بهم للاستئناس بآراء علماء المسلمين على امتداد تاريخ الإسلام... ونتيجة هذا الإفتاء يتورط بعضهم في أمور تخالف صريح المعقول والمنقول وتخالف الشريعة مخالفة لا تحتمل التأويل»[1].

إن نشر آراء لا تقوم على قواعد صحيحة، ولا تتوافق مع مبادىء الشريعة وأحكامها ومقاصدها من الأمور الخطيرة التي تزرع الإرهاب الذي قد يتخذ أحياناً شكل استخدام السلاح، ويمكن تحديد ذلك بأن التطرف قد يكون فكرياً وقد يكون مادياً، وهنا نستطيع القول بأن «الأول يتمثَّل في اتِّباع الشَّاذ من الآراء وفي اتهام الآخرين في عقائدهم، والغلظة والتشدد في التعامل معهم، بينما الثاني ـ التطرف المادي ـ يعبِّر عن نفسه من خلال الاشتباك مع الآخرين، جماعات

---

(1) أبو المجد، د. أحمد كمال، **حوار لا مواجهة**، م.س، ص55.

كانوا أو حكومات، ليس فقط باللسان، ولكن بالسنان (السلاح) الأبيض»[1].

نخلص إلى القول، تأسيساً على ما تقدم، بأن الفهم الخاطىء للإسلام، على تعدد عوامله، يشكل المنتج الأول والأساسي للتطرف والإرهاب الذي يصل إلى حد استخدام التكفير أو القتل، وما يدور حولنا اليوم يدلل على ذلك.

2 ـ **الاستعمار الغربي والأمريكي**: شكلت أمتنا العربية وعالمنا الإسلامي محطَّ أطماع للغرب منذ الحروب الصليبية، وسعوا بعدها لمواجهة أمتنا بالوسائل المتاحة لهم، وكان من بين ذلك سعيهم لإضعاف دور موقعها الاستراتيجي عندما استخدموا طريق رأس الرجاء الصالح، وقاد ذلك دون تخطيط لاكتشاف القارة الأمريكية. وبعدها توالت الحملات العسكرية والثقافية والاقتصادية، من الأندلس التي طرد الصليبيون منها العرب، إلى الحملات العسكرية المتتالية والتي احتلوا بعدها أرض الأمة تباعاً وصولاً إلى الاحتلال الشامل مع أوائل القرن العشرين وبعد الحرب العالمية الأولى.

لقد احتلوا البلاد واستهانوا بكرامة الشعب، وزرعوا الإرهاب والرعب هنا وهناك ومارسوا تعذيب الناس ومطاردة أهل الرأي وقادة التحرر، ونهبوا الثروات والمقدرات ولا يزالون، كل ذلك جعل الشعوب تصل إلى أعلى درجة من

---

(1) هويدي، فهمي، **إحقاق الحق**، القاهرة، دار الشروق، سنة 1993، ص59، 60.

الغضب والاستعداد لثورات التحرير والتحرر.

إن أوروبا الغربية، واليوم أمريكا معها، مارست ولا تزال أسوأ عدوان على أمتنا يطال كافة الميادين، فهم يبتكرون الأساليب لمحاربة الإسلام خاصة بعد سقوط الشيوعية، حيث يرى الأمريكيون أن الإسلام هو العقبة في طريقهم، ولذلك نجد أمريكا تسعى للتدخل في شؤون المجتمع، من الأسرة والزواج والإنجاب إلى التربية إلى الجيوش إلى الفن وسائر ميادين الحياة مما يشكل من قِبَلهم إرهاباً وتدخلاً سافراً، وهو عنف، في إطار تسويق مفاهيمهم بالضغط والإغراءات المادية.

والغرب المعتدي المتمادي وأمريكا المنحازة، والذين يدعمون الاحتلال الصهيوني للأراضي العربية يعتمدون منهجاً استعمارياً ومخططات عدوانية وأطماعاً، وإذا قاوم العرب ينعتونهم بالإرهاب. إن الغربيين «يعتمدون لأنفسهم ثوابت فكرية ويطالبون العرب والعالم الثالث بالأخذ بالمتغيرات، ويقصدون بالمتغيرات إحداث تبدل في معتقداتنا الدينية والقومية والوطنية والاجتماعية تحت عنوان المتغيرات، فلا نميِّز بين ثوابتنا والمتغيرات، بين الأصالة والمعاصرة، بحيث تصبح ثوابتنا متغيرات وننتهي إلى التخلي عن ثوابتنا لنلحق بثوابتهم وندور في فلكهم. فمشكلة الإرهاب مثلاً عندهم واحدة، ولا فرق بين مقاوِم يدافع عن أرضه، وعن حقه ضد الاحتلال الخارجي، وبين مجرم يستخدم العنف لأغراض شخصية أو فئوية، ومع أنهم يقرُّون بشرعية دفاع الإنسان عن نفسه قانونياً إذا تعرض للاعتداء، فإنهم يسقطون حقوق

الأوطان في الدفاع عن نفسها ضد العدوان»[1].

إنهم يكيلون بأكثر من مكيال واحد، والمنظمة الدولية «هيئة الأمم المتحدة» يستفرد الأمريكي بها ويتلاعب بقراراتها، ففي حين وجدناه يسارع إلى التنفيذ ضد بعض الدول والجهات، فإنه يسكت بالكامل عن ممارسات العدو الإسرائيلي.

هذه الأساليب كلها سببت وجود روح عدائية عند شعبنا ضد أمريكا والغرب، وإصلاح الأمر بيدهم؛ إذ أن وقف تحدياتهم وتعدياتهم سيكون السبيل للسير بالأمور باتجاه سليم في العلاقات الدولية تؤسس على العدل وعدم تدخل أحد بالشؤون الخاصة بالآخر.

وإذا أردنا أن نذكر وجوه العدوان الغربي والأمريكي يمكننا أن نجملها بما يلي:

1 ـ الاغتصاب والعدوان، وفي مقدمة ذلك دعم الاحتلال الإسرائيلي.

2 ـ الانحياز الأمريكي لصالح إسرائيل ومعه بعض الدول الأوروبية.

3 ـ نهب الثروات وإغراق الأسواق بما أخرجته مصانعهم وبشكل آخر نقول: العدوان الاقتصادي.

4 ـ إضافة إلى الاحتلال، فقد أقاموا القواعد العسكرية

---

(1) شاتيلا، كمال، **العرب والتحديات الدولية والشرق أوسطية**، بيروت، المركز الوطني للدراسات والنشر، سنة 1416هـ ـ 1996م، ص29.

مما شكل ويشكل اسفزازاً لكل إنسان.

5 ـ الدعايات الفكرية والإعلامية والمدارس والجامعات ذات الطابع التبشيري بأفكار تخالف، بل تعادي ثقافتنا وذلك مشفوع بسيل من المؤلَّفات التي تشهِّر بنا وتخاصمنا.

3 ـ المسؤولون والحكومات: إن عدداً غير قليل من المسؤولين في مواقع سياسية أو أمنية أو اقتصادية وأحياناً تركيبة حاكمة بأكملها، يمارسون التعسف في استخدام حق السلطة، وبذلك يتسلطون ويواجهون الحالات الشعبية والتحركات أو الأطروحات الفكرية سواء أكانت محقة أو غير محقة بأسلوب العنف الذي يبدأ من الفصل من العمل أو الوظيفة، أو يكون بالسجن والتعذيب، أو بالنفي والتهجير ويصل إلى حد القتل والإعدام. إن السلطات التي تتعسف تدفع بقطاعات أو بأفراد إلى موقع ردات الفعل، وبالتالي يؤدي ذلك بالمظلوم والمسلوبة إرادته إلى اعتماد الإرهاب والعنف.

والسلطات قد تدفع أهل منطقة أو فئة إلى حالات عنيفة وردات فعل غاضبة بسبب تقصير الحكومات أو انحيازها، أو عدم توازن ما تقوم به من إجراءات، أو ما تقدمه من خدمات، أو ما تؤهله من مرافق عامة؛ فوجود صيف وشتاء على سقف واحد من الأمور التي تدفع المواطنين دفعاً إلى ردات الفعل الغاضبة.

إن الاستبداد من قبل الحكام والتعسف في استخدام السلطة يدفع المواطنين إلى حالة من عدم الاستقرار بحيث لا

يكون المواطن عندها آمناً على حياته أو على أسرته، أو على ممتلكاته وسائر حقوقه، وهنا نراه يتحيَّن الفرص السانحة ليقتص ممن يظلمه، وعندها يكون الفعل وردة الفعل، وينتج بذلك عنف السلطات وعنف مجموعات شعبية. . .

والحكام قد يمارسون عنفاً سلبياً يؤدي إلى حالات عنف شعبية، وذلك يكون عندما يقصِّر الحاكم في واجباته ويهمل شؤون وطنه وشعبه، ويقصِّر في أداء ما عليه، في مثل هذه الحالة تحصل حالات من العنف من قبل مجموعات شعبية لإصلاح الأوضاع. لقد قالت العرب قديماً: «العدل إن دام عمَّر والظلم إن دام دمَّر»، فالظلم باب خطير تنفذ منه كل ردات الفعل الغاضبة، وحالات العنف والاستخدام غير المبررة للقوة.

4 ـ الفقر والبطالة: إن تردي الأوضاع الاقتصادية في بلد ما يشيع الفقر والعَوَز، ويتبع ذلك حالات انتشار البطالة وهدر الطاقات والقوى العاملة، وهذا سيقود إلى المقولة المعروفة: «البطالة تورث الرذيلة». والفقير الذي يلفه الحرمان، ويشعر بالقسمة الظالمة للفرص وللحقوق، ستتولد عنده حالات من النقمة والتمرد والغضب، وهذه تؤدي حكماً إلى حالات عنفية في التعبير والسلوك، إما عنف ضد الذات بتدميرها بالموبقات والمفاسد في إطار الفرار من الحياة وشؤونها، وإما عنف ضد الآخرين يهلك الحرث والنسل وتكون نتائجه فتن وحالات من الخلل الاجتماعي والوطني عموماً.

الحديث النبوي الشريف فيه: (اللهم إنا نعوذ بك من الكفر والفقر). هذا الجمع بين الكفر والفقر يؤشر إلى حقيقة هي أن الفقر إذا ساد وانتشر، ومعه البطالة والحرمان، فإن صاحب الحرمان والمحروم قد يقوم بأفعال تتناقض حتى مع الدين، وبذلك يكون مناخ الفقر والبطالة والحرمان الحاضن لأشكال من السلوك والممارسات تدخل صاحبها في طريق قد ينتهي به إلى الكفر.

5 ـ الحق المسلوب يقود إلى التطرف والعنف: إن الإنسان بفطرته وطبعه يدافع عمَّا يخصه، وبالتالي فإن حقوقه المسلوبة تحفزه على اعتماد القوة وامتلاكها من أجل استرداد هذه الحقوق.

فالإنسان العربي الذي زرع الغرب والأمريكان دولة الاحتلال إسرائيل التي تغتصب الحقوق وتمارس العدوان عليه وعلى شعبه لا بد وأنه سيعمل رسمياً وشعبياً لتحرير أرضه ومقدساته وإزالة الخطر الإسرائيلي، وهذا الفعل لا يصح أن نصنفه في الإطار السلبي، كما يفعل المنحازون، ومواجهة المشروع التوسعي أمر لا بد منه وهو مشروع وفي مكانه، وقد أحسن صنعاً وزراء الداخلية والعدل العرب عندما وقعوا اتفاقية مكافحة الإرهاب في القاهرة في 22/ 4/ 1998، حيث أوردوا في نص الاتفاقية، وفي المادة الثانية بالذات النص الآتي:

«لا تُعَدُّ جريمةً حالاتُ الكفاح بمختلف الوسائل، بما في ذلك الكفاح المسلح ضد الاحتلال الأجنبي والعدوان من

أجل التحرر وتقرير المصير، وفقاً لمبادىء القانون الدولي، ولا يُعتبر من هذه الحالات كلٌّ عمل يمس بالوحدة الترابية لأي من الدول العربية».

ومن الحقوق المسلوبة كذلك ذلك النهب الذي مارسته ولا تزال دول الشمال الغنية المترافق مع نشر الأساطيل الحربية والقواعد العسكرية، وفي كل ذلك يعملون على ضرب هوية الشعوب وتذويب شخصيتها ونهب ثرواتها. إن مثل هذه الأشكال من العدوان ستدفع إلى العمل الفدائي من أجل تحرير الأرض واسترداد الحقوق المسلوبة، وهذا أيضاً عمل مشروع، وبذلك فالعنف ضد المغتصب لا يتوقف إلا برجوعه عن مخططاته وأطماعه وإرجاع الحقوق لأصحابها.

6 ـ قمع الحريات وتوليد العنف: يكون من المفيد لو نذكِّر كلَّ صاحب مسؤولية في السلطة أو في موقع آخر بذلك القول الشهير للخليفة الراشدي عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً».

فالحرية مطلب كل حيٍّ في هذا الوجود، ولا نقصد بالحرية التحلل من الضوابط وإنما الحرية، التي أعني، هي تلك التي يصونها الدستور وتحميها القوانين وتحدد مسارها بما يحقق كرامة الإنسان، ولا ينقص من حقوقه شيئاً.

إن قمع الحريات العامة وتعطيل الحياة الديموقراطية مع التسلط، وحشد الناس في المعتقلات والسجون لا لذنب إلا لأنهم لم يتزلفوا لمسؤول أو لم يجلُّوا حاكماً، إن هذا الفعل يدفع المظلومين للتخطيط لأشكال من التمرد والعنف

يمارسون من خلالها الانتقام ممن آذاهم.

وبالمقابل فإن اتساع مساحة الحرية يصنع الاستقرار، وينسج شبكة العلاقات الاجتماعية بين المواطنين، وبين الشعب والحكام على أساس من الثقة والود. قال المرحوم أحمد الخواجة: «إنه من حيث تتوفر للناس مساحات أو مقادير من الحرية الصادقة الخالصة فلن ترى حوادث عنف أو حوادث قتل. إذن الإكراه والحرية لا يلتقيان ولا يجتمعان، وعلينا، إن أردنا أن نزيح صورة الإرهاب، أن نعمق الحرية بين الناس وأن ننادي بما يكفل حرية الناس»[1].

7 ـ الإعلام وصناعة التطرف: إن الإعلام، بشتى وسائله وأساليبه، هو الذي يصنع الرأي العام، وبلادنا ليست خارج هذه القاعدة، ووسائل الاتصال المتطورة اختصرت المسافات واخترقت الحواجز والحدود والسدود، وبات التواصل بين الشعوب أمراً متيسراً، خاصة مع التطور التقني في ما يخص وسائل الإعلام الألكترونية وأجهزة المعلوماتية.

وأول المخاطر هو ما يسوّقه الإعلام من برامج وما يعالجه من موضوعات غريبة عن واقعنا، لا بل فيها من التحدي لقيمنا وديننا وحضارتنا الشيء الكثير، كما أنها مشحونة بالاستفزازات ضد أمتنا العربية وعالمنا الإسلامي، سواء فيما

---

(1) الخواجة، أحمد، **إذا سادت الحرية الصادقة غاب الإرهاب**.

في: عبد المقصود، صلاح: **الإرهاب، أسبابه وكيف نقاومه**، القاهرة، دار الاعتصام، سنة 1988، ص21.

يعرض من مسلسلات أو في توجيه النشرات الإخبارية أو في الدعاية والإعلان. . . الخ.

وبذلك يكون الإعلام أحد مسببات التطرف: «إن الإعلام له دور خطير يكمن فيما ينقله إلى الجماهير من أخبار وآراء وحوادث وقضايا تتعلق بأمن البلد واستقراره. . . إن ما تغصُّ به الأفلام السينمائية والتمثيليات وما على أشرطة الفيديو من قصص لا يمت إلى واقعنا بشيء من قريب أو بعيد والأمر كذلك في معظم الأغاني، والذي لا شك فيه أن انفصاماً وقع بين أجهزة الإعلام والحقيقة؛ مما أدى إلى الجنوح والتطرف لبعض فئات الشباب في الآونة الأخيرة»[1].

والإعلام الغربي الذي يُصنِّع، من خلال وكالات الأنباء، المادة الإخبارية لمعظم وسائل الإعلام في العالم، يمارس انحيازاً كاملاً وتعصباً ضد كل ما هو عربي وإسلامي، ويحاول تشويه الصورة حين يَختلق تصنيفات إرهابية لأية حادثة تجري في بلد عربي أو إسلامي، ولا يفعل ذلك بالنسبة لغير العرب والمسلمين.

«إن الإعلام الغربي لا يقول مثلاً عن أعمال الجيش الأحمر بأنه إرهاب ياباني أو بوذي، ولا يقول عن أعمال منظمة العمل المباشر بأنها إرهاب فرنسي أو كاثوليكي، ولا يقول عن أعمال بادر ماينهوف بأنها إرهاب ألماني أو بروتستانتي. . . الخ. ولكن هذا الإعلام نفسه يتصيَّد أي

---

(1) عبيد، منصور الرفاعي، م.س، ص27.

حادث أمني ليتحدث بتطويل وتركيز عمَّا يسميه الإرهاب العربي، أو الإرهاب الإسلامي، قاصداً من وراء ذلك ليس إدانة الإرهاب كإرهاب، وإنما تشويه الإسلام كدين، وطعن القضايا العربية العادلة في الصميم»[1].

ويسعف الإعلام الغربي في تشويه إعلامنا الذي يتعاطى معه معظم الناس على أساس أنه قليل المصداقية لأنه إعلام من يملك القرار فيه لا إعلام الأمة بكل ما للكلمة من معنى.

وفي الحديث عن عدم جدارة إعلامنا العربي في الرد على دعايات ومزاعم الإعلام الغربي يقول الدكتور عبد الله الجاسر:

«وللأسف الشديد فإن هذا الإعلام أيضاً ليس له هوية مشتركة ولا رؤية موحدة وأهدافه ليست واضحة وتتغيَّر تبعاً للعلاقة التي ترتبط بها حكومات الدول العربية، ويمارس بشكل أو بآخر وفقاً لمرئيات القائمين عليه من رعايا الدول العربية التي يهيمن بعض منها على البعض إما بثقله المالي أو بثقله الثقافي... لا يعدو إلا أن يكون مفوضاً أو وكيلاً للحكومات العربية، والحالة هذه يغلب على طرحه وجهات النظر الرسمية»[2].

---

(1) السماك، محمد، **الإرهاب والعنف السياسي**، بيروت، دار النفائس، ط2، سنة 1412هـ ـ 1992م، ص71.

(2) الجاسر، د. عبد الله، **الإعلام العربي والنظام العالمي الجديد**، في أعمال المؤتمر الأول لمركز الدراسات العربي الأوروبي، باريس، سنة 1993، ص215.

إن الإعلام العربي بهذه الألية لا يقوى على ردع العدوان الإعلامي ضد أمتنا الذي تمارسه وسائل إعلام الغرب ضمن سياسة تهدف إلى إلصاق التهم بالإسلام والعروبة.

بقي أن نقول: إن الإعلام، بما يعرض، يسهم في توليد التطرف والنزعة الإرهابية عند الناشئة، وذلك من خلال ما يعرض من أفلام بوليسية تتمثل فيها جرائم قتل واغتصاب، وأعطي مثالاً حصل في الثمانينات حيث عُرض، من خلال الأفلام الأميركية، لعبة اسمها لعبة الموت، وتتم بأن يكون مع الشخص مسدس توضع ذخيرته على شكل طاحونة ويبقى طلقة واحدة، ومن ثم يسدّد المسدس إلى رأسه ويدير الطاحونة بسرعة ويضغط على الزناد وحسب حظه حيث قد تنطلق الرصاصة ويموت، وقد قُتل عدد من الناس في لبنان بسبب هذه اللعبة.

8 ـ الأطر الحركية المتعصبة وصناعة الإرهاب: هناك أطر حركية تتوزع في أحزاب وجماعات وتنظيمات تبنت فكراً متعصباً عماده الانغلاق والاستعلاء تؤسس، وهي مدعومة من قوى معادية للأمة، لحالات عنف لا يميِّز، بل الكل ضحايا ومالهم مستباح ما داموا خارج هذه الحالة الحركية.

فالحركات التي يقوم فكرها على منهج التكفير تتهم كل من ليس في صفوفها، وتبيح لنفسها النيل منه. إن تحدي القوى العلمانية وسائر الأفكار المعادية للإسلام تعطي مادة لهؤلاء يستغلونها في التثقيف والتعبئة بحيث نجد عناصر في هذه الحركات يصل عنفهم لحالات تدعو إلى الذهول،

كحالة من يمثل بطفل أو شيخ، أو حالة من يقتل أحد أفراد أسرته.

كما أن هذه الحركات استغلت وتستغل تقصير السلطات في الإنماء وتحقيق الرخاء للشعب، أو ما يكون منها من ممارسات فيها مصادرة للرأي أو للحقوق بما فيها الاقتصادية والاجتماعية.

وهذه الأطر الحركية يتبناها الأعداء ويمولونها لأنها تخدمهم من خلال العبث بالوحدة الوطنية، وزرع الفوضى وعدم الاستقرار، وكذلك ستؤدي إلى توليد حالات عنف مماثلة أو مقاومة لهم، وهكذا يدخلون المجتمعات في النزف الدموي بكل ما يحمله من مخاطر.

هذه الأطر الحركية المتطرفة تنفرد بطرح مفاهيم تستقر وراء الشعار الديني لتخفي تعصبها وأحقادها وعنفها، علماً أن ما يطرحونه أو يمارسونه يخالف جوهر الدين الذي يقوم على السماحة والرحمة، والذي يحدد ميادين وظروف استخدام القوة، وهي دوماً في باب رد الاعتداء.

مقترحات لمعالجة ظواهر الإرهاب والعنف

إن الحديث عن الإرهاب بات حديث الساعة، وتثيره ممارسات أو أطروحات فكرية منها ما يصح أن نسميه إرهاباً، ومنها ما لا يصح أن نسميه كذلك لأنه دفاع عن حق وعمل تحرري.

إن الحكومات والمؤسسات الأهلية وأهل الرأي مشغولون بمعالجة هذه الظاهرة، وهناك بالمقابل من يستغل الظاهرة في إطار خدمة مصالحه، والغرب والولايات المتحدة الأمريكية في رأس قائمة المستغلين.

وإذا كان موضوعنا هو المجتمع العربي والمجتمعات الإسلامية فإن العوامل التي تؤدي إلى ظواهر العنف غير المشروع فيها متنوعة، وكذلك سبل العلاج، ولهذه الغاية يكون من المفيد أن تُسجَّل المقترحاتُ التالية:

1 ـ إن دول الشمال الغنية التي نهبت ولا تزال ثروات

وقدرات أبناء دول الجنوب الفقيرة، والعالم العربي والإسلامي جزء منها، هذه الدول بَنَتْ رخاءها وتقدمها العمراني والتقني على حساب سعادة الآخرين، وزرعت الفقر والعَوَز والعجز في الميزانيات، لذلك يكون أول سبيل للمعالجة أن تكفِّر هذه الدول عن سيئاتها، وتقدم حصة مما عندها لدول الجنوب ومنها مجتمعات العرب والمسلمين، وأن تضطلع بمسؤولية الإنماء العمراني والتقني فيها تخفيفاً للهوة الكبيرة بين الأغنياء والفقراء، وهذا يذيب بعض مظاهر العنف والنقمة.

2 ـ بعد وقف النهب الاقتصادي، من قبل الدول التي مارست الاستعمار والاحتلال لسنوات طويلة، والتي لا زالت في حمَّى سباق التسلح، والاحتفاظ بالقواعد العسكرية، وتجوال الأساطيل البحرية الحربية، وإقامة المناورات العسكرية والاستفزازية، على هذه الدول، والولايات المتحدة الأمريكية في مقدمتها، أن توقف تصرفاتها هذه وأن ترحِّل قواعدها، وأن تتراجع عن أساليبها الاستفزازية ضد الشعوب.

3 ـ لقد عاشت أوروبا مدة من الزمن وساحتها مملوءة بالأدبيات والأفكار المعادية للإسلام التي تحترف النيل منه ومن المسلمين إلى أن كان المجمع الفاتيكاني الثاني الذي صدرت نتائجه عام 1965 والذي طالب بإيقاف هذه الحملات التي كانت تزرع التوتر. لكن هذه الأيام، ومن موقع المصلحة السياسية والمشروع الاستعماري وليس من الموقع الديني، خرج علينا منظِّرو الولايات الأمريكية، مثل

فوكوياما وسواه، يعلنون العداء للإسلام، ويرون فيه، بعد سقوط المنظومة الشيوعية، العائق في طريق بسط سيطرة أمريكا تحت شعار النظام العالمي الجديد المزعوم، لذلك يحتاج الوضع إلى تراجع الأمريكان عن مشروعهم الاستعماري أولاً، وإلى وقف حملاتهم المسعورة ضد الإسلام، ووقف الكتابات المغرضة التي تخرج محمَّلة بالأحقاد.

4 ـ إن الاحتلال الإسرائيلي واغتصاب فلسطين وأراضٍ عربية أخرى في الدول العربية المجاورة لفلسطين مع المقدسات والعنصرية الصهيونية وعدوانهم اليومي، إضافة إلى مشروعهم التوسعي بإسرائيل كبرى مزعومة، وكل المشروع الصهيوني صناعة أوروبية ـ أمريكية، هذا ويضاف إليه الانحياز الأمريكي الكامل حالياً، هذا الواقع لا يمكن إلا أن يدفع العرب والمسلمين إلى الإعداد والاستعداد للمقاومة والواجهة. وهذه المقاومة الجهادية التحررية حق مشروع وليست في خانة الإرهاب الذي يتحدثون عنه، ومع ذلك فإن إلزام إسرائيل بتنفيذ قرارات مجلس الأمن وهيئة الأمم المتحدة واسترداد الحقوق العربية سيقود حكماً إلى تخفيف هذا الصراع، وبدون إحقاق الحق وإرجاع الحقوق العربية كاملة لن يحصل استقرار ولن يتوقف القتال مهما فعلوا، فحق الأجيال في الجهاد والمقاومة حتى النصر والتحرير لا يستطيع أن يلغيه أحد.

5 ـ إن كتابات الأمريكان هذه الأيام مع أوروبيين

وإعلامهم يمارس حالة استفزازية ضد القيم الأخلاقية والمبادىء التي يشرعها الإسلام ويلتزمها العرب والمسلمون، هذا مع إعلام مستورد في بلادنا يسوّق مفاهيمهم في الفساد والرذائل أو في العنف والبوليسية، وبذلك تكون سياسة إعلامية رشيدة تلتزم منظومة القيم التي تلتزم العفة وتراعي معتقدات المسلمين وشريعتهم، أكثر من ضرورية لوقف ردات الفعل أو حالات الغضب التي تفجرها وسائل الإعلام وبرامجه الاستفزازية.

6 ـ أما على الصعيد الداخلي عربياً، فإن ترسيخ الحرية والعدل التي ترغب بها فطرة الإنسان وتأمر بها كل الشرائع على قاعدة تكريم الإنسان واحترام إنسانيته، حاجة ضرورية لمعالجة الإرهاب، لأن الاستبداد والظلم حضن تنمو فيه ظواهر التمرد والعنف، والحرية التي تضبطها الأصول المشروعة تولد الاطمئنان عند الأفراد والمجموعات، وذلك يلغي فتيل الجريمة والإرهاب ويساعد على التطوير والبناء والإنماء، ولا يظنن أحد بأن علاج الإرهاب السجن والنفي، بل الحياة الديموقراطية السليمة هي العلاج.

7 ـ تأصيل الشورى، وتعزيز منطق الحوار بين الحكومات والشعوب ومؤسسات المجتمع المدني. فإذا كان الاحتلال يقاوَم ويواجَه جهادياً فإنه، ضمن الصف الواحد، لا بد من الحوار الذي يقرِّب وجهات النظر ويردم الفوارق، ويعزز الوحدة الوطنية، ويلغي ويعطل عوامل الفتنة. والحوار المجدي هو ذلك الذي يقوم بعيداً عن العصبية الطائفية أو

العرقية، والذي يتخلّى أصحابه عن لغة الوعيد والاتهام، لأن الحوار لا يجدي إذا كان في جو محموم ولا يحترم فيه المتحاورون بعضهم بعضاً.

8 ـ إلغاء الحديث عن كل ما يسمى منطق أقلية وأقليات وأكثرية عددية، فالكل مواطنون. فالتمييز، بكل أشكاله، سواء اعتمد العرقية أو الطائفية أو الحزبية أو سواها، يزرع الفرقة والانشطار في المجتمع. فالقاعدة في النظرة بين مواطن وآخر تكون بمقدار التزامه الوطني وخدمته لبلده وانضباطه ضمن قيم الحضارة التي تميز شخصية الأمة، مع انفتاح على الآخرين من موقع الحفاظ على الهوية والحقوق.

9 ـ التأسيس لمشروع تربوي يشمل مختلف مراحل التعليم يكون في رأس أهدافه تعميم المعرفة والثقافة لأن الجهل والأمية الثقافية هما الأرض الخصبة للإرهاب، والمعرفة والوعي هما سبيل المواجهة. إن هذا المشروع التربوي يحتاج لتأصيل على أسس إيمانية عمادها التدين لا الطائفية والتعصب، وأن ينقّى من كل عوامل العنصرية والأحقاد والانفعال، هذا مع التنبيه للمؤثرات الوافدة ومخاطرها.

والمشروع التربوي الذي يرتفع إلى مستوى الطموح هو ذلك الذي نستطيع أن نجنّد له طاقات الأمة على صعيد الحكومات والمؤسسات الأهلية ومن ذلك ضمناً الأسرة ووسائل الإعلام. وهذا الموضوع يحتاج لمزيد من مؤتمرات البحث ومواقع الإعداد للمربين والمعلمين وتأهيلهم كي ينجحوا في المهمة، والأمر يحتاج كذلك للتوافق، عربياً

أولاً وإسلامياً إن أمكن، على المرتكزات الأساسية في المقررات المدرسية، لمختلف مراحل التعليم، فوحدة الإعداد والتنشئة تسهم في صناعة وحدة المجتمع.

10 ـ معالجة ظواهر التعصب التي تزرعها مجموعات حركية باسم الدين، فهذا ينافي سماحة الإسلام ومنهج الوسطية الذي يؤسس له ويدعو إليه. إن هذا الأمر يحتاج منا أن نحتكم، في الأحكام والفتاوى، إلى المجامع الفقهية ولجان الفتوى ومجامع البحوث الإسلامية، وأن نوقف ظاهرة تحويل الرأي إلى حكم، واعتماد ما تعوَّد بعضهم عليه وكأنه شريعة، هذا إضافة إلى وقف المتاجرة باسم الدين، وتبيان الحقائق، وتبصير الرأي العام بمخاطر الجمود وأطروحات التكفير والاتهام التي تعتمدها بعض الأطر الحركية، وهذا يحتاج كذلك إلى مزيد من التنسيق والتواصل والتفاعل بين الجامعات والكليات والمعاهد والتي تهتم بعلوم الشريعة والدراسات الإسلامية خصوصاً على الصعيد العربي والإسلامي، فذلك يصحح المسار ويضع الأمور في نصابها الصحيح.

11 ـ أن تلتزم الحكومات والشعوب بما ورد في اتفاقية مكافحة الإرهاب التي وقعها وزراء الداخلية والعدل العرب في 22/ 4/ 1998 لجهة وقف الاقتتال والفتن، مع دعم وتطوير أساليب المقاومة والجهاد ضد الاغتصاب الصهيوني وسواه لأرضنا ومقدساتنا وثرواتنا إنطلاقاً مما ورد في المادة الثانية من هذه الاتفاقية.

وهنا تجدر الإشارة إلى أن مواجهة الفتن والجرائم التي تحصل ضد من يسمونهم «أهل الأمة»، من مجموعات أو أفراد يحترفون الإرهاب واجب على كل الأمة رسمياً وشعبياً، وإذا كان واجب الحكومات أن تواجهه قضائياً وأمنياً، فإن أهل الرأي والناس جميعاً يواجهون ذلك بنشر التوعية وعدم الاستجابة للظواهر الفتنوية الهدامة.

12 ـ ويدخل في سبل المعالجة تأمين فرص العمل للشباب، والعمل للإنماء لإلغاء الفقر والبطالة وأزمات السكن، مع تعزيز حق التحصيل العلمي والعيش الكريم لكل مواطن، لأن استغلال حاجة الفقراء وعوزهم هو الذي يساعد الجماعات الإرهابية على استقطاب هؤلاء وتوظيف نقمتهم ضد الدولة والمجتمع. والتطوير والإنماء هما مسؤولية الحكومات أولاً، ومؤسسات المجتمع المدني ثانياً، وواجب أصحاب الإمكانات المالية والتقنية الفنية ثالثاً.

13 ـ وفي سبل المعالجة، كذلك، نشر الأندية والمؤسسات التي تشغل وقت الشباب بالمطالعة والتثقيف والرياضة، وتنمية المواهب والمهارات وما إلى ذلك، وأن يكون كل ذلك بتنسيق تام مع خطة المسجد والقائمين عليه، وبذلك نحجب تأثير المجموعات التي تستغل طاقات الشباب وحماسهم فيما لا تحمد عقباه كما يحصل حالياً بالنسبة لعدد غير قليل من شباب الأمة.

14 ـ تطوير الخطاب الديني عند الدعاة والأئمة بحيث يخرج من أسلوب الحفظ والاستظهار والتكرار إلى الإرشاد

والتربية بالتركيز على القيم الأخلاقية في الدين، هذا مع التوجيه إلى أفضل أساليب التوظيف وأخذ العبر، مع مراعاة مبدأ الحكمة في الدعوة؛ أي أن يحبِّب الداعية المدعوين بالدين، وأن يزين لهم الإيمان وأن يستميلهم إلى ما يطرح استناداً إلى قول الله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ﴾[1].

هذه بعض المقترحات قد تكون فيها فائدة في سبل معالجة ظواهر التعسف في استخدام القوة فيما يسمى الإرهاب، وهي قد تلتقي، كلها أو بعضها، مع مقترحات قدمها ويقدمها أهل الرأي في الأمة، وسيكون ذلك في خانة التراكم المعرفي لمعالجة ما يجري في ساحتنا وصولاً إلى التمييز بين القتال ضد الأعداء، وهو شرف وعمل مشروع، والاقتتال، وهو جريمة تهلك الحرث والنسل وتشوه صورة الدين والأمة.

---

(1) سورة الحجرات، الآية 7.

المصادر والمراجع

1 - ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، م2، بيروت، دار صادر، ط6، سنة 1995.

2 - ابن الجوزي، أبو الفرج، **تلبيس إبليس**، صححه ووضع حواشيه محمد منير الدمشقي، القاهرة، إدارة المطبعة المنيرية، بدون تاريخ.

3 - ابن منظور، **لسان العرب**، تحقيق عبد الله علي الكبير وآخرين، القاهرة، دار المعارف، بدون تاريخ.

4 - أبو المجد، الدكتور أحمد كمال، **حوار لا مواجهة**، القاهرة، بيروت، دار الشروق، سنة 1408هـ - 1988م.

5 - أبو المجد، الدكتور أحمد كمال، **رؤية إسلامية معاصرة**، القاهرة، بيروت، دار الشروق، ط1، سنة 1412هـ - 1991م.

6 - بركات، الدكتور نظام محمود، **الاستيطان الإسرائيلي في فلسطين بين النظرية والتطبيق**، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، سنة 1988.

7 - **بروتوكولات حكماء صهيون**، ترجمة وتقديم الدكتور إحسان حقي، بيروت، دار النفائس، ط1، سنة 1408هـ - 1988م.

8 - البلاذري، **فتوح البلدان**، راجعه وعلق عليه رضوان محمد رضوان، بيروت، دار الكتب العلمية، سنة 1403هـ - 1983م.

9 - توينبي، أرنولد، **تاريخ البشرية**، ترجمة الدكتور نقولا زيادة، بيروت، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، سنة 1986.

10 - جاد الحق، الإمام جاد الحق علي، **النبي ﷺ في القرآن**، القاهرة، منشورات الأمانة العامة للجنة العليا للدعوة الإسلامية - الأزهر الشريف، سنة 1991.

11 ـ روهلنج، الدكتور أغسطس، **الكنز المرصود في قواعد التلمود**، ترجمة الدكتور يوسف نصر الله، مصر، مطبعة المعارف، ط1، سنة 1899.

12 ـ زيدان، الدكتور عبد الكريم، **أحكام الذميين والمستأمنين، في دار الإسلام**، بيروت، مؤسسة الرسالة، سنة 1402هـ ـ 1982م.

13 ـ السحمراني، الدكتور أسعد، **الإسلام بين المذاهب والأديان**، بيروت، دار النفائس، ط2، سنة 1413هـ ـ 1992م.

14 ـ السحمراني، الدكتور أسعد، **العدل فريضة إسلامية**، بيروت، دار النفائس، ط1، سنة 1411هـ ـ 1991م.

15 ـ السحمراني، الدكتور أسعد، **المشروع الصهيوني الجديد**، بيروت، دار النفائس، ط1، سنة 1417هـ ـ 1997م.

16 ـ السحمراني، الدكتور أسعد، **من اليهودية إلى الصهيونية**، بيروت، دار النفائس، ط1، سنة 1413هـ ـ 1993م.

17 ـ السماك، محمد، **الإرهاب والعنف السياسي**، بيروت، دار النفائس، ط2، سنة 1412هـ ـ 1992م.

18 ـ سميرنوف، آفغراف، **تاريخ الكنيسة المسيحية**، عربه المطران ألكسندروس، لا بلد نشر، لا تاريخ.

19 ـ سيدربرج، بيتر. سي، **أساطير إرهابية بين الوهم والمقالات والواقع**، ترجمة عفاف معروف، القاهرة، سنة 1992م.

20 ـ شاتيلا، كمال، **التضامن العربي لماذا تراجع وكيف يستعاد؟**، بيروت، المركز الوطني للدراسات والنشر، بدون تاريخ.

21 ـ شاتيلا، كمال، **رؤية قومية لمسار التسوية**، بيروت، المركز الوطني للدراسات والنشر، بدون تاريخ.

22 ـ شاتيلا، كمال، **العرب والتحديات الدولية والشرق أوسطية**، بيروت، المركز الوطني للدراسات والنشر، سنة 1416هـ ـ 1996م.

23 ـ شلتوت، الإمام محمود، **من توجيهات الإسلام**، القاهرة، بيروت، دار الشروق، ط8، سنة 1407هـ ـ 1987م.

24 ـ عبد الفتاح، نبيل، **المصحف والسيف**، القاهرة، مكتبة مدبولي،

سنة 1984.
25 ـ عبد المقصود، صلاح، **الإرهاب: أسبابه وكيف نقاومه؟**، القاهرة، دار الاعتصام، سنة 1988.
26 ـ عبيد، منصور الرفاعي، **الإسلام وموقفه من العنف والتطرف والإرهاب**، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة 1987.
27 ـ عرجون، محمد الصادق، **الموسوعة في سماحة الإسلام**، م1، القاهرة، مؤسسة سجل العرب، سنة 1392هـ ـ 1972م.
28 ـ عطا، عبد القادر أحمد، **هذا حلال وهذا حرام**، بيروت، دار إحياء التراث العربي، بدون تاريخ.
29 ـ الغزالي، الشيخ محمد، **تراثنا الفكري في ميزان العقل والشرع**، بيروت، القاهرة، دار الشروق، ط1، سنة 1411هـ ـ 1991م.
30 ـ الغزالي، الشيخ محمد، **السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث النبوي**، بيروت، القاهرة، دار الشروق، ط1، سنة 1409هـ ـ 1989م.
31 ـ الفرفور، الدكتور محمد عبد اللطيف، **الوسطية في الإسلام**، بيروت، دار النفائس، ط1، سنة 1414هـ ـ 1993م.
32 ـ فوكوياما، فرانسيس، **نهاية التاريخ**، ترجمة وتعليق الدكتور حسين الشيخ، بيروت، دار العلوم العربية، ط1، سنة 1413هـ ـ 1993م.
33 ـ القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، بيروت، دار إحياء التراث العربي، بدون تاريخ.
34 ـ كاشف الغطاء، الشيخ علي، **سبل التعاون بين الديانتين لنقل قيمهما الروحية للأجيال المقبلة**، في: مضابط جلسات المؤتمر الإسلامي المسيحي، لبنان ـ بحمدون 22 ـ 27 نيسان (أبريل) 1954.
35 ـ كنيدي، بول، **الاستعداد للقرن الحادي والعشرين**، ترجمة محمد عبد القادر وغازي مسعود، عمّان، دار الشروق، سنة 1993.
36 ـ الكيلاني، د. هيثم، **الاستراتيجيات العسكرية للحروب العربية ـ الإسرائيلية**، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، سنة 1991.

37 ـ **المجمع الفاتيكاني الثاني**، أشرف على الترجمة وقام بقسم منها الأب حنا الفاخوري، بيروت، منشورات المكتبة البوليسية، ط1، سنة 1992.

38 ـ مصالحة، الدكتور نور الدين، **طرد الفلسطينيين ـ مفهوم الترانسفير في الفكر والتخطيط الصهيوني (1882 ـ 1948)**، بيروت، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ط1، سنة 1992.

39 ـ موريس. أريك، وهو. ألان، **الإرهاب ـ التهديد والرد عليه**، ترجمة د. أحمد حمدي محمود، القاهرة، الهيئة العامة للكتاب، سنة 1991.

40 ـ **المسيحيون العرب**، المحرر إلياس خوري، بيروت، مؤسسة الأبحاث العربية، ط1، سنة 1981.

41 ـ نتنياهو، بنيامين، **محاربة الإرهاب**، ترجمة عمر السيد وأيمن حامد، القاهرة، دار النهار، ط1، سنة 1996.

42 ـ نتنياهو، بنيامين، **مكان تحت الشمس**، ترجمة محمد عودة الدويري، مراجعة كلثوم السعدي، عمّان، دار الجليل، ط1، سنة 1995.

43 ـ هنتنجتون، صامويل، **صدام الحضارات**، ترجمة طلعت الشايب، تقديم د. صلاح منصور، القاهرة، دار سطور، سنة 1998.

44 ـ هندريش، تيد، **العنف السياسي**، ترجمة عبد الكريم محفوض وعيسى طنوس، لا بلد نشر، ط1، سنة 1986.

45 ـ هويدي، فهمي، **إحقاق الحق**، القاهرة، بيروت، دار الشروق، سنة 1993.

الدوريات:

1 ـ **مجلة الموقف** (بيروت)، العدد 75، نيسان (أبريل) 1991م، رمضان 1411هـ.

2 ـ **جريدة السفير** (بيروت)، الأربعاء 22/ 7/ 1998.

3 ـ **جريدة النهار** (بيروت)، الخميس 26/ 3/ 1998.

4 ـ **ملحق جريدة النهار الشهري**، تموز (يوليو) 1998.

الفهرس

الموضوع	الصفحة

رقم : 351 - 98